العقيدة الدينية والنظم التشريعية عند اليهود كما يصورها العهد القديم

دكتورة
ألفت محمد جلال

١٩٧٤

الناشر
مكتبة سعيد رأفت

العقيدة الدّينيّة والنظم التشريعيّة
عند اليهود
كما يصوّرها العهد القديم

دكتورة
ألفت محمّد جلال

١٩٧٤

الناشر
مكتبة سعيد رأفت
١٩ أ شارع الجيش - القاهرة



تصدير

يعتبر العهد القديم[١] من أهم المصادر الدينية والتشريعية لدى اليهود ، فمنه استقى اليهود معظم عقائدهم ونظمهم الإجتماعية ، فهو يحتوى على الكثير من الأحكام المتعلقة بالأحوال الشخصية ، وشئون المعاملات والسياسية والاقتصاد والأسرة .. إلخ .

لذلك يعد العهد القديم النواة الأساسية التي اعتمد عليها اليهود طوال حياتهم فى دياناتهم وعقيدتهم ، وفى شئونهم العامة والخاصة ، وفى أمورهم السياسية والاجتماعية وغيرها . . غير أنه بمرور الزمن تعددت هذه الأحكام ، واختلف اليهود فى الأخذ بها ، فسنت قوانين جديدة ، وكان ذلك نتيجة لظهور بعض المصادر الأخرى مثل المشنا[٢] والجمارا[٣] والتلمود[٤] وغيرها . ومن هنا كثرت الأحكام وتعددت

---

(١) ويعرف أيضا باسم الكتاب المقدس أو التوراة.

(٢) الغرض من المشنا هو تحقيق معانى كلمات العهد القديم واستنباط القوانين منه ووضع قوانين جديدة عن طريق القياس اذا لم يكن هناك نص أو كان النص غير صريح .

(٣) الجمارا هى تحليل لما ورد فى المشنا وبيان أحكامها واستنباط أحكام جديدة منها .

(٤) المشنا والجمارا معا يسميان التلمود ، وقد اختلف اليهود حول الأخذ به

التفسيرات . على أنه يمكننا القول بصفة عامة بأن المصادر الأساسية التى تتعلق بالدين والتشريع اليهودى هى : العهد القديم ، وسنن الأنبياء، واجتهاد أولى الأمر الذين حاولوا قدر إمكانهم تفسير وتوضيح ما أشكل فهمه ، وبيان أحكام الدين من عبادات ومعاملات ، واستنباط القوانين ووضع الأحكام المتفق على صحتها .

هذا وقد اعتمدت فى دراستى للعقيدة والنظم التشريعية عند اليهود على العهد القديم ، الذى يعتبر المصدر الأساسى فى هذه الناحية ، ولم أتطرق إلى المصادر الأخرى ، ولم أخض فى دراسة المذاهب الدينية ، حتى لا أثقل على القارىء ، لذا وضعت هذا الكتاب المختصر ليكون مرشداً لطالب الجامعة فى كليات الآداب والقارىء العربى بصفة عامة ، نظراً لخلو الكتاب من المشكلات المعقدة أو الآراء الفلسفية .

وقد رجعت إلى بعض المراجع التى أفادتنى فى هذه الناحية ، وذكرت بعضاً منها فى هذا الكتاب وأهمها :

= فانقسموا فريقين : الربانيين وهم الذين يؤمنون به ويعتبرونه كتابا سماويا موحى به إلى موسى وأما القرائين فينظرون إليه على أنه كتاب فقهى ولا يعدو أن يكون مفسرا لما جاء فى التوراة، فهم لا يعترفون بالتلمود ويعطون لأنفسهم حرية الفكر فى شرح نصوص العهد القديم .

١ — هلال يعقوب فارحى: سدور فارحى مطبعة الأدون روبرتو موسكوفتش بمصر ١٩١٧ .

٢ — محمد محمود جمعـــة : النظم الاجتماعية والسياسية عند قدماء العرب والأمم الساميـة مطبعة السعادة بالقاهرة ١٩٤٩ .

٣ — وليم ديورانت : قصة الحضارة الجزء الثانى من المجلد الأول ترجمة محمد بدران مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٦ .

4. Wells H.G. : The outline of bistory Cassell. and Company, Ltd· London 1921.

5. Rohertson archibald : The bible and its background. Watts and Co., London 1942.

6. Lods adolphe : Israel from its beginnings to the middle of the eighth century, translated by Hooke S.H., Routledge and Kegan Paul Ltd., second Impression, 1948

* * *

ويجب أن أشير هنا إلى أن الدراسات الدينية والتشريعية قد

نالت عناية بعض من الأساتذة الأفاضل . ومن أهم ما صدر في هذا المجال كتاب — الفكر الديني الإسرائيلي — للأستاذ الدكتور حسن ظاظا .

اليهودية واليهود : للأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافى .

اليهود عبر التاريخ : للأستاذ الدكتور فؤاد حسنين على وكذلك كتابه : اليهودية واليهودية المسيحية .

إسرائيل فى التوراة والإنجيل : للأستاذ الدكتور مراد كامل .

ولا يفوتنى فى هذا المقام أن أشكر الأستاذ الدكتور محمد سالم الجرح على جميل مساعداته السديدة .

واسأل الله التوفيق ؟

دكتورة ألفت محمد جلال

مقدمة

دراسة تمهيدية

يجدر بنا قبل الحديث عن العقيدة
الدينية عند اليهود عامة ، أن نشير
أولا إشارة موجزة إلى تاريخ بنى
إسرائيل ، ثم نتبع ذلك بدراسة
مبسطة نعرف فيها بأسفار العهد القديم :

(ا) نبذة تاريخية عن بنى إسرائيل

ينتسب بنو إسرائيل إلى يعقوب بن إسحق بن ابراهيم ، وقد جاءوا إلى فلسطين[1] حوالى القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، وكانوا حينئذ فئة قليلة العدد ، ينتقلون من مكان إلى آخر إلى أن استتب لهم الأمر بعد ذلك وأقاموا فيها .

ولم يكن الإسرائيليون حين نزلوا تلك البلاد أول من أقام فيها بل كان يسكنها أقوام من أجناس مختلفة منها الكنعانيون والفرزيون والفلسطينيون والأموريون وغيرهم[2] .

وقد ظل النزاع قائماً بين هذه الأقوام وبين الإسرائيليين فترة ليست بالقصيرة ، ارتكب فيها بنو إسرائيل الكثير من الفظائع والقتل لكى يستولوا على البلاد حتى اغتصبوها فى نهاية الأمر ، ولم

---

(١) سمى إقليم فلسطين بأسماء شتى حسب العصور والشعوب فقد عرف باسم اقليم الكنعانين ، ولفظ كنعان يرجع اشتقاقه إلى الفعل كنع أى انخفض ، فتدل هذه التسمية على الاقليم المنخفض والعلون يسمون هذه المنطقة فلسطين وهى تسمية قديمة تعنى أرض الفلسطينيين . بينما يسميها المسيحيون الأرض المقدسة ، غير أن الصهيونيين يحاولون اليوم التخلص من التسمية القديمة وتسمية الاقليم بأرض إسرائيل .

(٢) قضاة ٣/٥ .

يكن هذا الاغتصاب حاسماً لأن سكان البلاد الأصليين كانوا يقاومون بنى إسرائيل كلما أحسوا منهم ضعفاً .

ومما لا شك فيه أن بنى إسرائيل قد امتزجوا بالسكان الأصليين لتلك البلاد ، وتأثروا بهم وأخذوا عنهم كثيراً من عاداتهم وعقائدهم الدينية كما تأثروا أيضاً ببعض الشعوب والأقوام المجاورة لهم مثل البابليين والمصريين وتقلوا عنهم بعض الطقوس والمعتقدات .

هذا وقد كانت مصر فى تلك الأزمنة تتمتع بمنزلة دولية قوية ، ففيها أقام يوسف وأتى إليها يعقوب ، ومنها خرج موسى ببنى اسرائيل وكان ذلك فى القرن الثالث عشر ق . م . وسار بهم فى أماكن عدة إلى أن وصلوا إلى برية سيناء ، وكان الشعب دائم التذمر ، لذلك عاقبهم الله بألا تطأ أقدامهم أرض الميعاد وقد عهد موسى بقيادة الشعب من بعده إلى يشوع بن نون الذى سمح له الرب بدخول أرض الميعاد ، وبعد التغلب على العقبات الحربية ، عبر يشوع خليفة موسى ومعه الشعب نهر الأردن إلى الأرض التى تفيض فى رأيهم لبناً وعسلا[١] وقد كان فتح يشوع سبباً فى قيام

(١) يشوع ٥/٦ .

سلام دام عدداً من السنين مكن القبائل من الاستقرار فى حياة طبيعية .

وبموت يشوع بدأ عصر آخر عرف بعصر القضاة ، لأن الزعماء الذين قادوا بنى إسرائيل بعد يشوع عرفوا بهذا الإسم ، ويبلغ عدد القضاة الذين تولوا الحكم على بنى إسرائيل فى تلك الحقبة حوالى خمسة عشر قاضياً .

وقد اشتهر عهد القضاة بالمقاومة القبلية ضد الأعداء المحليين ، ويلاحظ أنه فى ذلك العصر تفشى فى البلاد الكثير من الرذائل والمنكرات ، كما انتشرت عبادة الأصنام ، لذلك تعرضوا خلال هذه الفترة لنكبات كثيرة ، وانتهى عصر القضاة حوالى عام ١٠٤٠ق م. ثم بدأ عصر جديد فى الحضارة والملك على يد المصلح الذى كان له أثر واضح فى التحول من القبلية المفككة إلى إقامة ملكية متحدة أى على يد شاؤل (طالوت) الذى حارب الكنعانيين ، وقتل ملكهم جالوت ، وأسس له ملكاً كبيراً فى أرض كنعان ، ثم أتى بعده داود ثم ابنه سليمان وفى عهدهما بلغت الأمة ذروة المجد والمدنية ، وانتهت هذه الفترة بوفاة سليمان حوالى عام ٩٣٥ ق.م .

وبعد موت سليمان انقسمت المملكة إلى مملكتين إحداهما فى الشمال

وعرفت باسم إسرائيل وعاصمتها شكيم وتتكون من معظم الأسباط[١] والأخرى فى الجنوب وإسمها يهوذا وعاصمتها أورشليم وقوامها سبطا يهوذا وبنيامين .

ومع أن مملكة إسرائيل كانت تمثل أكثرية الأسباط ، وكانت أوسع مساحة إلا أنها كانت فى معظم أوقاتها مضطربة ، كثيرة الانقلابات ؛ فقد تولى ملكها تسعة عشر ملكاً من أسر مختلفة ، حيث كان يتمرد متمرد على الملك الجالس فيخلعه ويجلس مكانه . وقد ظلت هكذا إلى أن أغار عليها ملك آشور سرجون الثانى وكان ذلك عام ٧٢٠ ق. م.

أما مملكة يهوذا فقد كانت أكثر استقراراً وأطول عمراً ، وقد استمرت سلسلة ملوكها بدون انقطاع فى ذرية سليمان . وقد تولى يهوذا أيضاً تسعة عشر ملكاً ، وعمرت هذه الدولة إلى سنة ٥٨٦ ق . م . وسقطت على يد نبوخذ نصر الملك الكلدانى البابلى الذى نهب أورشليم ودمرها ، وأسر أهلها وأجلاهم إلى بابل .

---

(١) أسباط بنى اسرائيل اثنا عشر سبطا ينتسبون الى ابناء يعقوب الأثنى عشر وهم : رأوبين . شمعون ، لاوى ، يهوذا ، يساكر ، زبولون ، يوسف ، بنيامين ، دان، ونفتالى جادو ،أشير.

ومنذ ذلك الوقت بدأ يدب الوهن على البلاد ، حيث بدأ الفرس يغيرون عليها، ومن بعدهم اليونان ثم الرومان. وقدسببت هذه الفتوحات المتلاحقة انهيار النفوذ الإسرائيلي ، والاستقلال السياسي ، فتحول المجتمع إلى مجتمع ديني ليس همه إلا أن يحفظ التعاليم الدينية التي تلقاها عن أسلافه من أن تعبث بها يد الزمن .

فظهر في فلسطين طائفة من الأنبياء ، حملوا حملة عنيفة على الوثنية التي كان يعيش فيها الشعب الإسرائيلي ، ودعوا إلى التوحيد ، وأعلنوا حرباً على الديانة التي كان يدين بها الشعب والتي كانت مزيجاً من العقائد الكنعانية ، والمصرية القديمة والبابلية .

وانتهى الصراع الذي حمل لواءه حزقيال وارمياء وعاموس بالتوفيق بين الأفكار الدينية المتباينة ، والملاءمة بين التراث الإسرائيلي والتراث الكنعاني وغيرها .

وكانت ثمرة هذا كله الديانة اليهودية التي تجمعت عناصرها ووضعت أصولها عقب السبي ، وكان الكتاب الديني الذي له أثر واضح في ذلك الوقت هو العهد القديم .

* * *

(ب) تعريف بأسفار العهد القديم

العهد القديم هو الكتاب المقدس لدى اليهود . ويشتمل على ثلاثة أقسام : التوراة ، والأنبياء ، والمكتوبات .

والتوراة خمسة أسفار ، الأول منها يعرف باسم سفر التكوين لأنه يتحدث عن خلق العالم ، وخلق الإنسان ، ثم قصة الطوفان . ويحتوى أيضاً على بعض الشرائع اليهودية كتقديس يوم السبت ومشروعية الختان .

أما الثانى فيعرف باسم سفر الخروج لأنه يتحدث عن خروج بنى إسرائيل من مصر ، وذكر فيه المجادلات والمعجزات التى وقعت بين موسى وفرعون ، كما جاء فيه بعض أحكام الشريعة من عبادات ومعاملات وعقوبات . ومن أهم ما احتوى عليه سفر الخروج الوصايا العشر ؛ وهى الألواح المقدسة التى نزلت علـى موسى وبها أسس الشريعة اليهودية .

والسفر الثالث أطلق عليه سفر اللاويين لأنه يختص برجال الكهنوت من بنى لاوى ؛ ويشمل العادات والوصايا التى يتخذها الشعب فى تقديم المحرقات والقرابين . وفيه كثيراً من التشريعات

وتفصيلات متعددة عن كفارات الذنوب والأخطاء ، والأطعمة المحللة والمحرمة ، والأعياد والنذور والطهارة والنجاسة .

والسفر الرابع يسمى سفر العدد لأنه يحصى القبائل الإسرائيلية بعد خروجهم من مصر ، كما يحتوى على وصف مفصل عن حياة بنى إسرائيل فى التيه ، ويبين عدد قبائلهم وعشائرهم ويحدثنا عن تذمر الشعب وكيف كان ينزل المن والسلوى[١] عليهم .

والسفر الخامس يعرف باسم سفر التثنية ، لأنه يشرح الشريعة الموسوية شرحا ثانياً بأسلوب آخر ؛ ويشمل التعاليم والنصائح والأحكام التى ألقاها موسى على الشعب الإسرائيلى . كما حثهم بمواعظه ونصائحه على أن يكونوا أمناء على دينهم ، وأن يحافظوا على ما أختصوا به من مظاهر العبادة ومبادىء الأخلاق . لذا يعتبر سفر التثنية سفراً من الأسفار التشريعية التى تهتم بالأحكام .

هذا ويقال إن هذه الأسفار الخمسة المعروفة باسم التوراة قد كتبها

---

(١) وردت الأشارة إلى المن والسلوى فى الاصحاح السادس عشر من سفر الخروج وفى الاصحاح الحادى عشر من سفر العدد ، وقد ذكرا أيضاً فى القرآن الكريم فى سورة البقرة آى ٥٧ ، ١٦٠ وقد وصف المن بأنه ندى سماوى أبيض يتجمد ويغدو مثل بذر الكزبرة وطعمه كقطائف بزيت اما السلوى فيقال انه لحم أو طير كان ينزل من السماء وكان هذا هو طعام اليهود طوال فترة التيه .

موسى ونسبت إليه ويرجح أنه عاش فى القرن الثالث عشر ق . م .

ومن المقطوع به الآن أن هذه الأسفار ليست كلها من كلام موسى إذ أننا وجدنا فيها عبارات لم تصدر عنه مثل ماجاء فى سفر التكوين : « وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا فى أرض أدوم قبلما ملك ملك لبنى إسرائيل »(١) .

فهذه العبارة تتضمن العلم بوجود مملكة لبنى إسرائيل ، وهذا لم يحدث إلا بعد التاريخ الذى يظن أنه تاريخ موت موسى بحوالى قرنين .

كما أن هناك نصاً آخر بخصوص وفاة موسى جاء فى سفر التثنية : « فمات هناك موسى عبد الرب فى أرض موآب حسب قول الرب ودفن فى الجواء فى أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى اليوم »(٢) .

فهذا النص يفيد بأن موسى لم يكن قد كتب التوراة كما يعتقد. أما بقية أسفار العهد القديم فمنها أسفار الأنبياء وهى قسمان :

---

(١) تكوين ٣٦/٣١
(٢) تثنية ٣٤/٥ — ٦

الأوائل والأواخر فالأوائل سفر يشوع ، والقضاة ، وسفرا صموئيل وسفرا الملوك .

والأواخر ثلاثة منها كبيرة وهي اشعيا وارميا وحزقيال، واثنى عشر صغيرة وهي : هوشع - يوئيل - عاموس - عوبديا - يونان - ميخا - ناحوم - حبقوق - صفنيا - حجى - زكريا - ملاخى .

أما المكتوبات فتشمل أسفار المزامير ، والأمثال وأيوب . ونشيد الأناشيد وراعوث ومراثى ارميا والجامعة وأستير ودانيال وعزرا ونحميا وسفرى أخبار الأيام .

والأسفار السابقة فى مجملها تعرض لتاريخ أنبياء بنى إسرائيل الذين أرسلوا بعد موسى ، وهى تشتمل على كثير من العقائد الدينية ، وأخبار السلف ، وعلى بعض الاحكام التشريعية ، وعلى كثير من المواعظ والحكم والقصص ، والشعر والنبوءات .

وهذه الاسفار السابقة منسوبة إلى أشخاص كتبوها بعد موسى فى أزمان تتفاوت فى الطول والقصر ، ويطلق عليها تجاوزاً مع الاسفار الخمسة السابقة اسم التوراة من باب اطلاق الجزء على الكل .

هذا ويلاحظ أن أسفار العهد القديم تتسم اجمالا بالسمة الدينية ،

كما يلاحظ أنها ترمى إلى اتخاذ تاريخ بنى إسرائيل وسيلة لبيان المبادىء والتعاليم اليهودية .

لذا يمكننا أن نقول على سبيل الإيجاز أن العهد القديم لا يعدو أن يكون كتاباً يشرح تاريخ الإسرائيليين القومى، ويبين على أساس هذا التاريخ التعاليم والشرائع الدينية .

ومن المعروف أن هذا الكتاب الدينى لم يدون دفعة واحدة بل وضع فى عصور مختلفة ، كما أنه لا يروى أحداثاً وقعت كلها فى زمن واحد بل يذكر وقائع وقعت خلال أزمنة متعددة . فهذا الكتاب الدينى كتبه مجموعات من الشخصيات تميزت كل واحدة بخصائص معينة ، فإحدى هذه المجموعات أطلقت على الرب لفظ « يهوه » لذا عرفت مجموعتهم باسم اليهوية ، نظراً لكثرة استعمال لفظ يهوه ، أما الثانية فكانت تطلق عليه لفظ « إلوهيم » لذا عرفت مجموعتهم باسم الالوهيمية وذلك لشيوع لفظ إلوهيم لديهم. ومجموعة أخرى عرفت بالتثنية ، وكاتب هذه المجموعة أو كاتبوها كانوا يهتمون بالنواحى التشريعية . أما المجموعة الرابعة فهى عبارة عن فصول أضافها الكهنة إلى التوراة وهى تشريعية وقصصية فى آن واحد ، وتهتم بالقوانين والعبادات .

هذا ويعتقد العلماء أن القصص الخاصة بيهوه كتبت فى مملكة يهوذا ، أما ما يختص بالوهيم فقد كتب فى المملكة الشمالية إسرائيل. وقد وجدت حقبة من الزمن تقارب فيها الإتحاد بين الإثنين فكونا فكراً وعملا واحداً ، حتى أصبح من الصعوبة بمكان أن نفرق بينهما وكان ذلك حوالى القرن الثامن ق. م.

ومما لا شك فيه أنه يمكننا أن نميز ما يخص المصدر اليهوى وما يخص المصدر الالوهيمى فى كثير من الحالات ، وفى حالات أخرى يصعب علينا هذا التمييز وإن كان لا يصبح مستحيلا .

هذا وقد كانت القصص التاريخية تعرض بطرق متعددة فى العهد القديم مع إختلافات غير جوهرية فى الموضوع ، فأحياناً نجد أن أحد المصادر متسع ومفصل ، وأحياناً أخرى نجد العكس ، أما إذا كانت القصتان تحتوى كل منهما على جزئيات هامة فنجد أن العهد القديم يمزجهما ببعضهما ببعض، ويبرز هذا واضحاً فى قصة الطوفان فقد جعلها نصاً واحداً شاملا .

ومن المؤكد أن هذه القصص المزدوجة والآراء الدينية قد كتبت بلغة واحدة هى لغة دينية قديمة واضحة ، ويرتكز كل من المصدرين على تقاليد متطابقة وعناصر متشابهة حتى كأنهما كانا مستعدين كل

الاستعداد لهذا الاندماج الذى كان لامفر من وقوعه. غير أنه من الملاحظ أنه نظراً لكثرة الأشخاص الذين كتبوا العهد القديم فإننا نجد فيه كثيراً من التناقض فى القول . وعلى سبيل المثال نذكر أنه جاء فى سفر الخروج أن الإسرائيلى الذى يبيع نفسه بيعاً اختيارياً لأخيه الإسرائيلى، يخدمه ستسنوات وفىالسنة السابعة يخرجحراً[١] فى حين أن سفر اللاويين يذكر أن رقالشخص لا ينتهى إلا بحلول سنة اليوبيل[٢] .

أضف إلىذلك أنالرواة الذين نقلوا إلى شعبهم ذكرى ماضيه ، وسلسلوا الحوادث الدينية والوطنية ، كان غرضهم إظهار الشعب الإسرائيلى بمظهر الشعب المقرب إلى الله ، والمفضل على غيره من الشعوب . لذلك كانوا يريدون أن ينقلوا إليه ليس فقط ما فعل آباؤهم وإنما ما فعله الإله بالنسبة لآبائهم .

ولهذا صوروا الألوهيةتصوراً قبلياً[٣] حسبمفهومهم وإدراكهم.

(١) سفر الخروج ٢١،٢

(٢) لاويون ٢٥/٣٩ — ٤٠

= سنة اليوبيل هى السنة التى تتكرر كل خمسين عاما ، وفيها تعود جميع الممتلكات إلى أصحابها الأصليين .

(٣) كانت عبادة الرب الواحد تدين بها بعض القبائل فقط فى عهد موسى، ثم تحولت هذه العبادة تدريجياً من إله قبلى إلى إله قوى وحد العالم كله .

الباب الأول

العقيدة الدينية

كما يصورها العهد القديم



الفصل الأول

(ا) الإله عند العبريين :

صور اليهود إلههم فى صورة مجسمة ، ووصفوه بكثير من صفات النقص والضعف ، وصفات يهوه تملأ صفحات العهد القديم ، فهو لا يختلف اختلافاً بيناً عن صورة البشر فكان يتكلم مع موسى فما لفم وعياناً لا بالألغاز[1] وكان يتقمص الصورة البشرية فيأتى فى هيئة أشخاص ويتحدث[2] وكان يغضب فقد ذكر فى سفر العدد أن الرب عندما غضب على مريم أصبحت برصاء كالثلج[3] . ويندم : فندم الرب على الشر الذى قال أنه يفعله بشعبه[4] أو ينتقم من شعبه بأن يتركهم فى التيه أربعين عاماً[5] ويعقد العقود والمواثيق[6] ويفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء وفى أبناء الأبناء حتى الجيل الثالث

(١) عدد ١٢/٨ .
(٢) تكوين ١٨/٢ .
(٣) عدد ١٢/٩ — ١٠ .
(٤) خروج ٣٢/١٤ .
(٥) عدد ١٤/٣٣ .
(٦) تكوين ٩/٩ ، عدد ٢٠/١٣ .

والرابع [١].

وكانت ليهوه علامات مميزة ، فقد كان البرق والرعد وعمود السحاب من العلامات الدالة على وجوده . فعندما ارتحل بنو إسرائيل من مصر كان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم الطريق وليلاً في عمود نار ليضيء لهم كي يمشوا نهاراً وليلاً [٢] .

وينعت يهوه أيضاً بأنه رب القواصف والأعاصير ، فهي مظهر من مظاهر قوته وعظمته [٣] كما ينظر إليه على أنه إله حرب ولذلك سمي بإله الجيوش أو رب الجنود [٤] .

هذا وقد كانت ليهوه أساليب خاصة في القتال يمليها على شعبه وكان هذا الشعب يسارع بتنفيذها لأنها تتناسب مع أفكاره وآرائه فرب إسرائيل كان يرى أن إبادة المدن قربان يتقرب به إلى الرب فقد جاء في سفر العدد : « فنذر إسرائيل نذراً للرب ، وقال إن دفعت هؤلاء القوم إلى يدي أحرم مدنهم . فسمع الرب لقول إسرائيل ، ودفع الكنعانيين فحرموهم مدنهم فدعا اسم المكان حرمه » [٥] .

---

(١) خروج ٢٠/٥ ، عدد ١٤ / ١٨ ، تثنية ٥ / ٩ .
(٢) خروج ١٣ / ٢١ .
(٣) خروج ٩/٢٢ — ٢٥ قضاة ٥/١ — ٥ .
(٤) صموئيل الأول ١/٣ ، ارميا ٣٢/٨ .
(٥) عدد ٢١/٢ — ٣.

وينسب العهد القديم إلى الرب كثيراً من صور القسوة والوحشية، التى كان يمليها على شعبه، ومن بين هذه الصور ماجاء على لسان يهوه حيث يقول فى سفر التثنية : حين تقترب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح ، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون للتسخير ، ويستعبد لك ، وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، أما النساء والأطفال والبهائم وكل مافى المدينة كل غنيمتها تغنمها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إلهك » [١] .

وفى موضع آخر من العهد القديم نجد أن رب إسرائيل يغضب ويثور لأنه طلب من شاؤل ملك إسرائيل تدمير العماليق بأجمعها رجلا وامرأة وطفلا ورضيعاً ، بقرا وغنما ، جملا وحمارا ، وسار شاؤل إليهم ، وانتصر عليهم ، وقبض على ملكهم وأهلك الشعب ودمر ممتلكاتهم ولم يستبق فيها إلا جيد الغنم والبقر ليقدم ذبيحة للرب . ولكن يهوه يغضب من ذلك ويقول استماع كلام الرب أفضل من الذبيحة ، وأفضل من شحم الكباش ، ويندم شاؤل على هذا ويقتل أجاج ملكهم

(١) تثنية ٢٠/١٠ — ١٥ .

ويهلك ما كان قد احتفظ به من الأغنام[١] .

ويهوه لا يعرف الرحمة أو الشفقة ولا يحاول أن يدعو عباده إلى الهداية إذا وجدهم على غير دينه ، بل ينصح شعبه بضرب المدينة وتحريم ما فيها فهو يقول فى سفر التثنية « فاضرب سكان تلك المدينة ضربا بحد السيف وحرم كل ما فيها من بهائمها بحد السيف ، تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها وتحرق بالنار المدينة وكل أمتعتها كاملة للرب إلهك ، فتكون تلا إلى الأبد ولا تبنى بعد ، ولا يلتصق بيدك شىء من الحرم لكى يرجع الرب عن حمو غضبه ويعطيك رحمة يرحمك ويكثرك كاحلف لآبائك[٢] .

ويهوه إله قاس متعصب لشعبه لأنه ليس إله كل الشعوب بل إله بنى إسرائيل وحدهم ؛ ومع ذلك فإن شعبه كان يخشاه إلى أقصى حد لأنه كان كثير الغضب ، وكان الشعب لا يعرف فى غالب الأحيان سبب غضبه الحقيقى ، فيفترض أنه ناشىء عن جرائم ارتكبها الأفراد .

ولم يكن لهذا الإله قواعد خلقية إلا بالنسبة للاسرائيليين بعضهم وبعض أما بالنسبة للأجانب فلم يكن الشعب ملزماً بأى قاعدة دينية ،

---

(١) صموئيل الأول ١٥/٢ — ٣٣ .
(٢) تثنية ١٣/١٥ — ١٧ .

فيهوه هو الذى أمر شعبه بأن يسرق المصريين لدى خروجه من مصر فقد جاء فى سفر الخروج « وأعطى نعمة لهذا الشعب فى عيون المصريين فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين ، بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا ، وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين[1] .

ويبدو أن يهوه كان غليظ القلب ، فقد كان يغرى الشعب على مخالفة وصاياه حتى يتمكن من معاقبتهم . وعلى هذا النحو فعل مع فرعون فقسى قلبه متعمداً ومنعه من ترك بنى إسرائيل يرحلون من مصر ثم أغرقه عقابا له على هذا الامتناع[2] .

هـذا وقد كانت ليهوه تعاليم خاصة به لا تخلو من القسوة فى كثير من الأحيان . هذه القسوة لم تنصب على أعداء بنى إسرائيل وحدهم ، بل نجده يقسو أيضاً على شعبه المختار ويصب عليه جام غضبـــه إن لم يسمعوا لوصاياه فمن ذلك ما جاء فى سفر التثنية حيث يقول :

« إن لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه

---

(١) خروج ٣/٢٢ .
(٢) خروج ١/١٠ — ٣ ، ص٧/١١

وفرائضه التى أنا أوصيك بها اليوم تأتى عليك جميع هذه اللعنات وتدركك ملعونا تكون فى المدينة ، وملعونا تكون فى الحقل ، ملعونة تكون سلتك ومعجنك ملعونة. تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك نتاج بقرك وإناث غنمك ، ملعونا تكون فى دخولك وملعونا تكون فى خروجك ، يرسل الرب عليك اللعن والاضطراب والزجر فى كل ما تمتد إليه يدك لتعمله حتى تهلك وتفنى سريعاً من أجل سوء أفعالك ، إذا تركتنى يلصق بك الرب الوباء حتى يبيدك عن الأرض التى أنت داخل إليها لكى تمتلكها ، ويضربك الرب بالسل والحمى والبرداء والالتهاب والجفاف . . يضربك الرب بجنون وعمى وحيرة قلب فتتلمس فى الظهر كما يتلمس الأعمى فى الظلام [١] .

وهو يحذر شعبه إن لم يحرصوا على العمل بكلماته بأنه سوف يبيدهم فيقول فى سفر التثنية :

«ويبددك الرب فى جميع الشعوب من أقصى الأرض الى أقصاها ، وتعبد هناك آلهة أخرى لم تعرفها أنت ولا آباؤك من خشب وحجر وفى تلك الأمم لا تطمئن ولا يكون قرار لقدمك بل يعطيك الرب هناك قلباً مرتجفاً وكلال العينين ، وذبول النفس ، وتكون حياتك

(١) تثنية ٢٨/١٥ — ٢٢ .

معلقة قدامك وترتعب ليلا ونهاراً ، ولا تأمن على حياتك ، فى الصباح تقول يا ليته المساء ، وفى المساء تقول يا ليته الصباح[1] .

وبذلك وجدنا أنَّ صفات إله بنى اسرائيل وتعاليمه وسياسته لا تنبىء عن الألوهية بمعناها الحقيقى ، ولكنها تخبىء وراءها صفات بنى إسرائيل أنفسهم وعوائدهم ، فقد أملى هذا الإله على لسان رسله مبادىء لا تتفق مطلقاً مع السمات الإلهية .

فهذه الصفات التى ذكرها اليهود ليهوه تبعد كل البعد عما يتصف به الإله ويقول فى ذلك وليم ديورانت :

« يبدو أن الفاتحين اليهود عمدوا إلى أحد آلهة كنعان فصاغوه فى الصورة التى كانوا هم عليها ، وجعلوا منه إلها صارما ، ذا نزعة حربية ، صعب المراس ، ثم جعلوا لهذه الصفات حدوداً تكاد تبعث الحب فى القلوب . ومما يؤيد ذلك أن من بين الآثار التى وجدت فى كنعان (عام ١٩٣١) قطعا من الخزف من بقايا عصر البرنز (٣٠٠٠ق.م.) عليها اسم إله كنعانى يسمى ياه أو ياهو[2] وهو يهوه إله العبريين .

(١) تثنية ٢٨/ — ٦٤ — ٦٧ .
(٢) قصة الحضارة جـ ٢ من المجلد الأول ص ٣٤٠

(ب) تطور صفات الإله :

لقد تطورت الصورة الخاصة بالإلوهية تدريجياً في أسفار العهد القديم فبعد أن كان يهوه في بداية أمره على صورة البشر يأكل ويشرب ويتكلم نجد أن صورته ترتفع تدريجياً ، فنجده يرتفع عن منزلة الإنسان فلا يوصف بصفاته ، ويبدو ذلك واضحاً في المصدر الالوهيمي فالإله إن ظهر فلا يظهر إلا في الأحلام أو في الخيال ، أو عن طريق الصوت . فني سفر التكوين نجد أن الله جاء إلى أبيمالك في حلم الليل[١] وتحدث ملاك الله في الحلم الى يعقوب[٢] كما نادى هاجر من السماء[٣] وكان موسى يخشى رؤية الله[٤] والإلوهيمية تظهر بعض الأحداث الإلهية على أنها معجزات أو أعمال خارقة للعادة[٥] .

وكذلك نلاحظ أن الأفعال التي تنافي الأخلاق أو الذوق قد تلاشت ، فني سفر التكوين يلاحظ أن الله لا يريد أن يحدث أي ضرر لهاجر زوج ابراهيم[٦] .

(١) تكوين ٢٠/٣ .
(٢) تكوين ٣١/١١ .
(٣) تكوين ٢١/١٧ .
(٤) خروج ٣/٧ .
(٥) تكوين ٢٨/١٢ ، ١٧ ، خروج ١٤/١٦ .
(٦) تكوين ٢١/١٧ — ٢١ .

ويشير سفر الخروج إلى أن القابلتين خافتا الله ولم تفعلا كما كلمهما ملك مصر بل استحيتا الأولاد[1] .

والإلوهيمية تقدم مستوى دينياً أرقى من اليهوية ، فهى تتحدث عن أصنام راحيل[2] وتكثر من ذكر التقديس وعلى الأخص فى بيت ايل[3] وجلعاد وشكيم وبئرسبع حيث كانوا يذهبون للحج[4] . كما أنها تدعو إلى الشفقة ، وتنفذ إلى القلب ، وتؤثر فى الشعور فى بعض المواقف ، ويلاحظ ذلك فى طرد هاجر[5] ، وفى تناول إبراهيم السكين ليذبح إبنه[6] وفى بكاء عيسو[7] وفى حزن يعقوب على راحيل[8] أو فى حنانه على ابنى يوسف[9] .

وبذلك وجدنا أن صفات الإله قد أخذت ترقى شيئاً فشيئاً وتتخلص

(١) خروج ١/١٧ .
(٢) تكوين ٣١/١٩ .
(٣) تكوين ٣٥/٢٠ .
(٤) تكوين ٣١/٤٥ — ٥٠ ، ٤٦/١ .
(٥) تكوين ٣١/١٧ .
(٦) تكوين ٢٢/٩ — ١٠ .
(٧) تكوين ٢٧/٣٤ — ٣٩ .
(٨) تكوين ٤٨/٧ .
(٩) تكوين ٤٨/١٤ .

بنوعاً ما من شوائب النقص والتجسيم، وأخذت صورته ترتفع تدريجياً، وكان ذلك على يد الأنبياء المصلحين، فأصبح يهوه خالق السموات والأرض وما فيهما [١] .

وبعد أن كان تقديم القرابين وغيرها رائحة سرور له يرتاح لها الإله ويفيد منها أصبح الاستماع إلى الله أقرب من تقديم ذبيحة الجهال لأنهم لا يبالون بفعل الشر [٢] . أما الإله الذى صورته أسفار التوراة بصورة الإله المنتقم من أبناء الأبنـاء حتى الجيل الثالث والرابع من مبغضيه [٣] إذا به يصبح إله الحق والعـدل، فقد جاء على لسان النبى حزقيال: النفس التى تخطىء هى تموت ، الإبن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الإبن ، بر البار عليه يكون ، وشر الشرير عليه يكون [٤] .

كما أصبح يتصف بصفات تبعــد كل البعد عن البشر فهو إله حى وملك أبدى [٥] يرى كل شىء [٦] ينزل المطر من السماء

(١) نحميا ٩ /٦ ، مزامير ٨/٤ .
(٢) الجامعة ٥/١ .
(٣) خروج ٣٤ /٧ .
(٤) حزقيال ١٨/ ٢٠
(٥) ارميا ١٠/١١ .
(٦) ارميا ١٦/١٧ .

فيجعل الأرض تنبت و تعطى زرعاً للزراع وخبزاً للآكل[١] فهو المؤسس للبحار والمثبت للأنهار[٢] الكاسى السموات سحاباً المهيء للأرض مطراً . المنبت الجبال عشبا ، المعطى للبهائم طعامها[٣] إله الدهر، الرب خالق أطراف الأرض ، لا يكل ولا يعيى[٤] الذى صنع الجبال وخلق الريح ، وأخبر الإنسان ما هو فكره ، الذى يجعل الفجر ظلاماً[٥] لا شبيه له[٦] ثابت لا يتغير[٧] صانع الإحسان[٨] حافظ العهد[٩] صانع السموات والأرض[١٠] حافظ الإحسان، غفار الذنوب والمعصية والخطيئة[١١] هو إله الآلهة ورب الأرباب عظيم وجبار ومهيب[١٢] طاهر اليدين ، نقى القلب ، لم يحمل نفسه إلى الباطل[١٣] يحصى عدد

(١) اشعيا ٥٥/١٩ .
(٢) مزامير ٢٤/١ .
(٣) مزامير ١٤٧/٧ .
(٤) اشعيا ٤٠/٢٨ .
(٥) عاموس ٤/١٣ .
(٦) اشعيا ٤٠/١٨ .
(٧) اشعيا ٤٠/٨ .
(٨) ارميا ٣٢/١٨ .
(٩) نحميا ٩/٣٢ .
(١٠) تكوين ١/١ ، مزامير ٣٣/٦ .
(١١) ارميا ٣٢/١٨ . نحميا ٩/٣٢ .
(١٢) تثنية ١٠/١٧ .
(١٣) مزامير ٢٤/٤

الكواكب ، يدعو كلها بأسماء[١] كثير الغفران[٢] مستجيب الدعاء[٣] .

فالإله الذى كانت له سيئاته وحسناته ، أخذ شيئاً فشيئاً يتطهر من تلك السيئات ، ليصبح فيما بعد إلهاً خيراً بحتاً ، ولكننا لا نر إله اليهود ، بالرغم من تطهره التدريجى من تلك المثالب يتخلى عنها تخلياً كاملا .

هذا وقد نشأت عند اليهود فكرة أن الإله سينزل إليهم بنفسه أو بواسطة أحد الملوك يوماً من الأيام ، لكى يعيدهم إلى سلطانهم وتتسع مملكتهم ، وقد تنبأ بذلك أنبياؤهم ، ففى سفر زكريا يتحدث الكاتب عن الملك المسيح[٤] الذىسوف يجىء يوماً ما ، لكى يدعم العدل ، ويقيم السلام ، ويخلص الشعب اليهودى أى الشعب المختار فقد جاء : ابتهجى جداً يا ابنة صهيون اهتفى يا بنت أورشليم ، هو

---

(١) مزامير ٤/١٤٧ .

(٢) اشعيا ٧/٥٥ .

(٣) اشعيا ٦/٥٥ .

(٤) كلمة مسيح مأخوذة من مسح دهن . لأنه كانت العادة أن يمسح الملك والكاهن الأكبر بالزيت . وكانت لفظة مسيح تستعمل فى البدء للملوك والرؤساء والكاهن الأعظم .

ذا ملكك يأتى إليك هو عادل ومنصور ، وراكب على حمار . . . ويتكلم بالسلام للأمم وسلطانه من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصى الأرض[1] .

وفى موضع آخر من سفر زكريا يصور الكاتب كيفية الهجوم على أورشليم حيث تؤخذ المدينة وتنهب البيوت ، وتفضح النساء ، ويخرج نصف المدينة إلى السبى . وعندئذ يخرج الرب ويحارب تلك الأمم فيحدث فيهم اضطراباً عظيما ، وتأتى جميع الأمم الذين جاءوا على أورشليم يصعدون من سنة إلى سنة ليسجدوا للملك رب الجنود[2] .

ويقول ويلز Wells : ان الشعب اليهودى يعتبر نفسه أرقى الشعوب وأن إلههم يهوه من أعظم وأقوى آلهة القبائل . ولذلك نشأ عند اليهود فكرة المسيح المنقذ لكى يحقق للشعب المختار ما وعدهم به يهوه[3] .

---

(١) زكريا ٩/٩ — ١٠ .
(٢) زكريا ١٤/٣ — ١٧ .
(٣) Out Line of History Vol. 2 p. 292

الفصل الثانى

(١) الشعب المختار والوعد الإلهى

ذكر العهد القديم فى مواضع متعددة أن اليهود شعب الله المختار، وأن الله وعدهم بإقامة دولة يهودية من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات [(١)] فسفر التكوين ذكر أن الله وعد إبراهيم قائلا « ارفع عينيك وانظر الموضع الذى أنت فيه شمالا وجنوباً، وشرقا وغربا، لأن جميع الأرض التى أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد، وأجعل نسلك كتراب الأرض، حتى إذا استطاع أحد أن يعد تراب الأرض نسلك أيضاً يعد، قم امش فى الأرض طولها وعرضها لأنى لك أعطيها [(٢)].

ثم أكد الرب هذه العهود لإسحاق ويعقوب ثم لذريتهما فيما بعد أى لبنى إسرائيل ففى سفر التكوين جاء :

« وقال يعقوب ليوسف الله القادر على كل شىء ظهر لى فى لوزفى

---

(١) تكوين ١٥/١٨ ويشوع ١/٣ — ٦ .
(٢) تكوين ١٣/١٤ — ١٧ .

أرض كنعان وباركنى وقال لى : ها أنا أجعلك مثمراً وأكثرك وأجعلك جمهوراً من الأمم . وأعطى نسلك هذه الأرض من بعدك ملكا أبدياً [١] » .

هذا ويلاحظ أن نص الوعد بالإمتداد من النيل إلى الفرات حدث قبل أن يولد إسماعيل، وقبل أن يولد اسحق ،وهذا الوعد موجه إلى ذرية إبراهيم ، وذرية إبراهيم لا تقتصر على اليهود فحسب ، بل جميع من يسلمون بعقيدته .

غير أن تأكيد هذا الوعد لبنى إسرائيل فى مواضع متعددة من العهد القديم ، كان دائماً مرتبطاً بإظهار ولائهم لله،وامتثالهم لأوامره وطاعته ، وإلا حل عليهم القصاص وغضب عليهم الرب . والعهد القديم مليء بالوقائع والأحداث التى تذمر فيها هذا الشعب على ربه ، نذكر منها أنه عندما خرج موسى ببنى إسرائيل من مصر وسار بهم فى طور سيناء فى طريقهم إلى أرض الميعاد ،غضب عليه الشعب وقال لماذا أصعدتنا من أرض مصر لتقتلنا وبنينا ومواشينا من العطش ويقول فى ذلك سفر العدد:

---

(١) تكوين ٤٨/٣ — ٤ .

«وأتى بنو إسرائيل الجماعة كلها إلى برية سيناء . . . ولم يكن ماء للجماعة فاجتمعوا على موسى وهارون وخاصم الشعب موسى وكلموه قائلين : ليتنا فنينا فناء أخوتنا أمام الرب، لماذا أتيتما بجماعة الرب إلى هذه البرية لنموت فيها نحن ومواشينا ، ولماذا أصعدتمانا من مصر لتأتيا بنا إلى هذا المكان الردىء ليس هو مكان زرع وتين وكرم ورمان ولا فيه ماء للشرب [١]» .

هذه هى أمة إسرائيل التى تنكرت لما صنع ربها فيها من جميل فخرجت عن طاعته لذلك فكر ربها فى إفنائها لأنها أمة شريرة قاسية الرقاب عنيدة فقد جاء على لسان هارون عندما سأله موسى عما فعله هذا الشعب فأجاب بقوله :لا يحم غضب سيدى أنت تعرف الشعب إنه فى شر [٢] وهكذا عرف الرب طبيعة الشعب، هذا الشعب الذى لا يستحق البقاء فصمم على إبادته فقد جاء فى سفر الخروج :

« قال الرب لموسى رأيت هذا الشعب ، وإذا هو شعب صلب الرقبة والآن اتركنى ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم [٣]» وفى موضع آخر من

---

(١) عدد ٢٠/١ — ٥
(٢) خروج ٣٢/٢٢ .
(٣) خروج ٣٢/١٠ .

سفر التثنية يقول الرب : إن لم تحرص لتعمل بجميع كلمات هذا الناموس المكتوبة فى هذا السفر لتهاب هذا الاسم الجليل المرهوب الرب إلهك، يجعل الرب ضرباتك وضربات نسلك عجيبة ، ضربات عظيمة راسخة وأمراضاً رديئة ثابتة ، ويرد عليك جميع أدواء مصر التى فزعت منها فيلتصق بك كل مرض وكل ضربة لم تكتب فى سفر الناموس هذا يسلطه الرب عليك حتى تهلك ،فتبقون نفراً قليلا،عوض ما كنتم كنجوم السماء فى الكثرة، لأنك لم تسمع لصوت الرب إلهك،وكما فرح الرب لكم ليحسن إليكم ويكثركم، كذلك يفرح الرب لكم ليفنيكم ويهلككم فتستأصلون من الأرض التى أنت داخل إليها لتمتلكها[1].

وهكذا يظهر لنا ان الله لم يمنح بنى إسرائيل هذه الوعود أو الامتيازات دون أى قيد ، بل ان هذه الوعود التى وعدالله بها بنى إسرائيل كانت متوقفة على العلاقة الطيبة بين الرب والشعب فتحقيق هذه الوعود كان مرتبطا باشتراطات وقيود . غير أن بنى إسرائيل تنكروا لربهم، وحادوا عن الطريق القويم ، واتخذوا من إمتيازاتهم ذريعة للاستعلاء على بقية الشعوب ونظروا لهذه الشعوب بعين الاحتقار .

(١) تثنية ٢٨/٥٨ — ٦٣ .

لذلك وجدنا الأنبياء قد أرادوا أن يخرجوهم من غرورهم ويردوهم عن غيهم ولكن دون جدوى .

(ب) الأنبياء والملوك

النبي عند بنى إسرائيل إنسان ينبيء عن الغيب ، وهذا الغيب المنبيء عنه إنما هو مجال علم وشهادة له،فهو بالنسبة لقومه معلم يعلمهم ما يجهلونه. فالنبي مرحلة إنسانية متقدمة عمن أرسل إليهم يعلمهم وينبئهم عن الغيب الغير مدرك لهم .

ولقد اختار الله أنبياءه لكى يبلغوا تعاليمه وتدابيره الإلهية ،وقد تميز أنبياء بنى إسرائيل بعددهم الكبير ، ولا غرابة فى ذلك حيث أن بنى إسرائيل كانوا فى حاجة دائمة إلى نذير ، فكانوا كثيراً مايخالفون وصايا الرب وأوامره ، ويرتكبون المعاصى والآثام ، لذلك قامت جماعة الأنبياء لكى يقوموا الشعب فكان منهم الزعماء الذين قاوموا الانحراف ودعوا إلى العدل والحق . ولم تكن النبوة تقتصر على الرجال فحسب . بل قام بها بعض النساء مثل دبوره[1] وخلده[2]

---

(١) قضاة ٤/٤

(٢) ملوك الثانى ٢٢/١٤ .

ونوعديه[١] حيث جاء ذكرهن فى العهد القديم .

وكان لكل نبى أتباع ومريدون يعرفون باسم بنى الأنبياء[٢] وقد كان من الصفات الهامة التى يتميز بها النبى أن يكون ملهما ، تحل عليه روح الرب،وعندئذ يستطيع أن يرى الله فى بعض الأحيان أو يرى الآيات الدالة على وجوده[٣]

وكانت روح الرب تحل على الأشخاص وتعتبر كالوحى الذى يوحى به للانبياء ، وفى هذه الحالة يعد الشخص الذى يرى رؤيا القدير مكشوف العينين[٤] .

فالوحى هو وحى الرجل المفتوح العينين ، وحى الذى يسمع أقوال الله ويعرف معرفة العلى ، ويرى رؤيا القدير[٥] . وكانت النبوة تأتى إلى النبى من تلقاء نفسها ، على غير توقع أو رغبة ، وكان الاختيار يتم عن طريق الإلهام ، أو اختيار الرب لأشخاص معينين

---

(١) نحميا ٦/١٤.
(٢) ملوك الثانى ٢/٣
(٣) ملوك الأول ٢٢/١٩
(٤) عدد ٢٤/٣ — ٥
(٥) عدد ٢٤/١٥

ملهمين ، تحل عليهم روح الرب ، فيتحدثون بأقواله ، ويبلغون أبناء الشعب ما يرغبون فى تبليغه .

وكان النبى يأتى إليه الوحى فى صورة متخفية بعض الشىء ، فقد يظهر فى صورة أشخاص يتحدث معهم ، وكانت الأقوال التى يتلفظ بها النبى لا تعد صادرة عنه ، بل تعتبر من قبل الله ، فالرب هو الذى يعلن سره للأنبياء(١) .

وكان من المعتقدات السائدة آنذاك أن الوحى المنزل على هؤلاء الأشخاص فى إمكانه أن يجلب الخير أو الشر ، أو البركة أو اللعنة . هذا وقد كانت مهمة الأنبياء فى تلك الأزمنة هى الدعوة إلى عبادة الرب وترك الآلهة الغريبة . فقد عبد بنو إسرائيل آلهة الشعوب المجاورة لهم ، فمن أشهر هذه المعبودات التى قدسوها الإله عزازيل(٢) وإله المؤابين المعروف باسم كموش(٣) ، كما عبدوا العجل وقدسوه(٤) وعبدوا تماثيل الآلهة(٥) . وبذلك انصرف بنو إسرائيل عن عبادة

---

(١) عاموس ٣/٧ .
(٢) لاويين ١٦/٨ .
(٣) قضاة ١١/٢٤
(٤) خروج ٣٢/٨
(٥) خروج ٣٢/١ — ٧

إلههم ، واتجهوا إلى عبادة ما لا ينفع ، لذلك نعى عليهم النبى ارميا قولهم للعود أنت أبى وللحجر أنت ولدتنى[١] .

ولم يسلم ملوك بنى إسرائيل من الإنحراف الدينى أيضاً ، بل وجدنا أن بعضاً منهم قد اتجـه اتجاهاً وثنياً ، وسار وراء الآلهة الأخرى ، ويقص علينا سفر الملوك أن سليمان عبد آلهة غريبة حيث جاء : وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه ، وراء آلهـة أخرى ، ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهـه كقلب داود أبيه فذهب سليمان وراء عشتروت إلهة الصيدونيين ، وملكوم رجس العمونيين ، وعمل سليمان الشر فى عينى الرب ، ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه ، حينئذ بنى سليمان مرتفعـة لـكموش رجس الموآبيين على الجبل الذى تجـاه أورشليم ولمولك رجس بنى عمون ، وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتى كن يوقـدن ويذبحن لآلهتن ، فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل[٢] .

كما ذكر فى موضع آخر من سفر الملوك أن يربعام ملك إسرائيل صنع عجلين من ذهب ووضـع أحدهما فى بيت ايل . والآخر فى دان

(١) أرميا ٢ / ١٧

(٢) ملوك الأول ١١/٤ — ٩ .

وقال لشعبه هذه آلهتكم التى أصعدتكم من أرض مصر فعبدوا عندها واذبحوا ذبائحكم [١] .

وقد جاء أيضاً أن الملك أخزيا بن أخاب ملك على إسرائيل وعمل الشر فى عينى الرب وسار فى طريق أبيه وطريق أمه ، وطريق يربعام ابن نباط ، فعبد البعل وسجد له وأغاظ الرب إله إسرائيل [٢] .

ويصف سفر الملوك الثانى أن هيكل الرب كان مملوءاً بالمعبودات التى تمثل البعل والسارية ، وكل أجناد السماء ، فأمر الملك حزقيا بإخراجها من الهيكل وكان غرضه من ذلك هو حث الشعب على عبادة الرب [٣] .

وعلى الرغم من اتجاه بعض الملوك اتجاهاً وثنياً ، فإن الأنبياء كانوا يحاولون جهدهم التمسك بدين موسى ، والدعوة إلى مراعاة المبادىء الخلقية ، والتخلص من الذنوب والآثام. فوجدناهم فى مواضع متعددة يغضبون على مظاهر التبرج ويثورون على بنات صهيون المتبرجات فقد جاء فى سفر اشعياء : قال الرب من أجل أن بنات

---

(١) ملوك الأول ١٢/٢٨ — ٢٩ .
(٢) ملوك الأول ٢٢/٥١ — ٥٣
(٣) ملوك الثانى ٢٣/٤ — ٧ .

صهيون يتشامخن ، ويمشين ممدودات الأعناق وغامزات بعيونهن ، وخاطرات فى مشيهن ، ويخشخشن بأرجلهن ، يصلع السيد هامة بنات صهيون ويعرى الرب عورتهن ، ينزع السيد فى ذلك اليوم زينة الخلاخيل والضفائر والأهلة والحلق والأساور والبراقع والعصائب والسلاسل والمناطق ... فيكون عوض الطيب عفونة وعوض المنطقة حبل وعوض الجدائل قرعة[١] .

كما رأيناهم أيضاً ينهون الشعب عن اقتراف الدعارة على أبواب المعابد وفوق التلال[٢] .

وحثوهم أيضاً على الابتعاد عن ارتكاب الشذوذ الجنسى مثل اللواط ، والاتصال بالحيوان[٣] . ولم يكن دور الأنبياء يقتصر على النصح والإرشاد ، أو حث الشعب على عبادة الرب وترك الأوثان فحسب ، بل إننا وجـــدنا بعض الأنبياء كان لهم شأن فيما يختص بالأمور السياسية أو بالناحية القومية ، وكانوا كثيراً مايتنبأون بها ، وفى هذه الحالة كان لا بد للملوك من طاعة هؤلاء الأنبياء والامتثال

---

(١) اشعيا ٣/١٦ — ٢٤ .
(٢) ملوك الثانى ٢٣/٧ ، تثنية ٢٣/١٧ــ١٨ ، هوشع ٤/١٢ ــ ١٣ .
(٣) لاويين ٢٠/١٣ ، تثنية ٢٧/٢١ .

لأوامرهم حتى لا تزول عرشهم . فمن هؤلاء الأنبياء الذين لعبوا دوراً فى الحياة السياسية اليشع النبى ، الذى أوصى أحد الأنبياء بمسح ياهو ابن يهوشافاط ملكا على إسرائيل ، فنفذ كلامه وصب الدهن على رأس ياهو وقال له هكذا قال الرب إله إسرائيل قد مسحتك ملكا على شعب الرب إسرائيل .. فبادر كل واحد وأخذ ثوبه ووضعه تحته على الدرج نفسه وضربوا بالبوق وقالوا قد ملك ياهو (١) .

وكان بعض الأنبياء يتنبأون بالأحداث السياسية التى سوف تقع عن طريق الرمز ، محاولين وصل الأحداث البعيدة بما يتناسب مع الوضع الذى عليه الشعب الإسرائيلى ، فنجد أن هوشع النبى يمثل إسرائيل بامرأة زانية فاسقة عصت زوجها فاستحقت العقاب فهو يقول : حاكموا أمكم لأنها ليست امرأتى ، وأنا لست رجلها لكى تعزل زناها عن وجهها ، وفسقها من بين ثدييها لئلا أجردها عريانة ، وأوقفها كيوم ولادتها وأجعلها كقفر وأصيرها كأرض يابسة ، وأميتها بالعطش ، ولا أرحم أولادها لأنهم أولاد زنى (٢) .

فالمرأة هنا ترمز إلى الشعب الإسرائيلى الذى ترك الرب وسجد

---

(١) ملوك الثانى ٩/١ — ١٤
(٢) هوشع ٢ / ١ — ٤

للأصنام ، وحزن النبي على امرأته يدل على حزن الرب على شعبه . أما معاملة النبي لإمرأته الخطئة فالغرض منه بيان ماسيفعله الرب مع هذا الشعب .

ويتحدث يوئيل أيضاً عن الوباء الذى سوف يجتاح إسرائيل ، ويبين كيف أنه يجعل الكرمة خربة والتينة مهشمة حيث يقول :

اصحوا أيها السكارى وابكوا وولولوا يا جميع شاربى الخمر على العصير لأنه انقطع عن أفواهكم . إذ قد صعدت على أرضى أمة قوية بلا عدد ، أسنانها أسنان أسد ، ولها أضراس اللبؤة . جعلت كرمتى خربة وتينتى متهشمة ، قد قشرتها وطرحتها فابيضت قضبانها (١) .

فالهدف من أقوال يوئيل هو بيان أن الضربة سوف تكون من الرب ، وأن الأرض المضروبة هى أرض الرب .

هذا ولم يكن جميع الأنبياء فى درجة دينية متماثلة ، بل كان منهم الصادق العفوف النفس ، وكان منهم المدعى النبوة ، المستغل الذى يتقاضى أجراً نظير تنبئه وعن هؤلاء تحدث حزقيال قائلا :

« قل للذين هم أنبياء من تلقاء ذواتهم ، اسمعوا كلمة الرب هكذا

---

(١) يوئيل ١/٥ — ٧

قال السيد الرب : ويل للأنبيـاء الحمقى الذاهبين وراء روحهم ، ولم يروا شيئاً ، أنبيـاؤك يا إسرائيل صاروا كالثعالب فى الخرب . . . رأوا باطلا وعرافة كاذبة ، القائلون وحى الرب ، والرب لم يرسلهم وانتظروا إثبـات الـكلمة . ألم تروا رؤيا باطلة ، وتـكلمتم بعرافة كاذبة قائلين وحى الرب وأنا لم أتـكلم ... فلذلك ها أنا عليكم يقول السيد الرب ، وتـكون يدى على الأنبياء الذين يرون الباطل والذين يعرفون بالـكذب [١] .

وقال ارميا : قال الرب لى ، بالـكذب يتنبأ الأنبياء باسمى ، لم أرسلهم ، ولا أمرتهم ، ولا كلمتهم برؤيا كاذبة وعرافة و باطل ومكر قلوبهم هم يتنبأون لـكم لذلك هكذا قال الرب عن الأنبيـاء الذين يتنبأون باسمى وأنا لم أرسلهم ، وهم يقولون لا يكون سيف ولا جوع فى هذه الأرض ، بالسيف والجوع يفنى أولئك الأنبياء [٢] .

---

(١) حزقيال ٢/١٣ — ١٥
(٢) أرميا ١٤/١٤ .

(ح) الكهنة واللاويون

الكهانة قديمة قدم الجنس الإنسانى ، فهى صفة فيه برزت فى أفراد لهم إستعداد خاص يتنبأون بمجرى الحوادث وسير الأمور . وكثيراً ما تكون هذه الأمور أموراً دنيوية تهم من يعتقدون فيها .

وقد كانت وظيفة الكاهن عند بنى إسرائيل هى إرشاد الشعب إلى إتباع التعاليم الدينية ، وكانوا يتولون أيضاً تقدمة الذبائح لله ، ويعلمونه التمييز بين المقدس والمحلل والنجس والطاهر . وكان الكهنة يعينون فى حفل كبير ، وعندئذ يلبسون الملابس الفاخرة ؛ فقد كان لكل كاهن ثياب خاصة يرتديها عندما يكهن للرب ، ويصف لنا سفر الخروج ملابس هارون الكهنوتية ، وهى عبارة عن صدرة ورداء وجبة وقميص مخرم وعمامة ومنطقة .

وكان الرداء والصدرة يصنعان من ذهب واسمانجونى وقرمز وبوص مبروم ، والصدرة مربعة مثنية طولها شبر ، وعرضها شبر ترصع فيها أربعة صفوف حجارة . صف عقيق أحمر وياقوت أصفر وزمرد . والصف الثانى بهرمان وياقوت أزرق وعقيق أبيض .

والصف الثالث عين الهر ويشم وجمشت . والصف الرابع زبرجد وجزع ويشب [١] .

أما الجبة فتصنع من اسمانجونى وتكون محلاة بالذهب . ويكون القميص مخرماً ، وتصنع العمامة من بوص والمنطقة تصنع صنعــــة مطرزة [٢] .

ولم يكن للكهنة سلك كهنوتى معروف ، وكل ما نعرفه عنهم أنهم كانوا من سبط لاوى الذى منه موسى وهارون . وكان لكل قبيلة كاهن أو عدد من الكهنة . وكان الكهنة يطمعون فى بعض الأحيان فى الحصول على مركز دينى مرموق ، فيحدثنا سفر القضاة أن أحد الكهنة أغرته إحدى العشائر بأن يترك بيت سيده الذى يعمل عنده ، حتى يكون كاهناً لعشيرة بأكملها [٣] غير أنه فى عصر الملوك وجدنا أن هناك تدرجاً فى وظيفة الكهنة ، فوجدنا الكاهن الرئيس والكاهن الثانى [٤] . ونظيراً لما يقوم به الكهنة من خدمات فقد كان لهم جزء معلوم من محصول الأرض وغيرها ، فكانوا

---

(١) الشيم والجمشت والجزع واليشب أسماء لأحجار كريمة .
(٢) خروج ٢٨/٤ — ٣٩ .
(٣) قضاة ١٨/٠٨ — ١٩
(٤) ملوك الثانى ٢٥/٢٨ .

يأخذون أول الحنطة ، والخمر والزيت وأول جزاز الغنم[١] .

كما كان لهم حظ وافر مما يقدمه الشعب من مقدمات ومحرقات ، فعندما يذبح الشعب الذبائح بقراً كانت أو غنماً كانوا يعطون الساعد والفكين والكرش[٢] غير ما كانوا يستولون عليه لأنفسهم لذلك وجدنا أن الكهنة كانوا فى أغلب الأحيان يفرحون لخطايا الشعب لكى يربحوا من تقدماتهم[٣] .

وقد ندد الأنبياء بأفعال الكهنة الذين يأكلون ولا يشبعون ويولعون بالربح والكذب فقالوا إنهم من الصغير إلى الكبير كل واحد مولع بالربح من النبى إلى الكاهن كل واحـــد يعمل بالكذب[٤] .

وجاء أيضاً اسمعوا هذا يا رؤساء بيت يعقوب وقضـــاة بيت إسرائيل ، الذين يكرهون الحق ويعوجون كل مستقيم .. رؤساؤها يقضون بالرشوة وكهنتها يعلمون بالأجر وأنبياؤها يعرفون بالفضة

(١) تثنية ١٨/٤
(٢) تثنية ١٨ / ٣
(٣) هوشع ٤/٧-١٠ ، صموئيل الأولى ٢/١٢ - ١٧ .
(٤) أرميا ٨/١٠ .

وهم يتوكلون على الرب قائلـــين ، ليس الرب فى وسطنا لا يأتى علينا شر[١] .

أما اللاويون فهم من نسل لاوى أيضاً ، وهم يعدون أقل منزلة من الكهنة ، فقد كانوا يقومون بخدمة بيت الرب . وقد حدد الرب من تجب عليهم خدمة بيت الرب من اللاويين فذكر أن الذى يتقدم للخدمة يكون ابن خمس وعشرين سنة فصاعداً ، أما من يبلغ منهم سن الخمسين ، فلا يخدمون بل يؤازرون إخوتهم فى حراسة بيت الرب[٢] . وكان عـدد اللاويين كثيراً فقد ذكر أن من كان منهم ابن ثلاثين سنة فما فوق ثمـــان وثلاثون ألفاً . منهـم أربعة وعشرون ألفاً للمناظرة[٣] وستة آلاف عرفاء وقضاة ، وأربعة آلاف بوابون وأربعة آلاف مسبحون للرب بالآلات التى عملت للتسبيح[٤] .

وكان عليهم قبل أن يخدموا فى بيت الرب أن يتطهروا وذلك بوضع ماء الخطيـة عليهم ، ويمرروا الموسى على بشرتهم ، ويغسلوا

(١) ميخا ٣/٩ — ١١
(٢) عدد ٨ / ٢٣ .
(٣) أى لتدبير الحطب والذبائح والكنس والتنظيف .
(٤) أخبار الأيام الأول ٢/٢٣ — ٥

ثيابهم ، ثم يأخذوا ثوراً ابن بقر ، ودقيقاً ملتوتاً بزيت وثوراً آخر من بقر ذبيحة الله . وعندئذ يحضر بنو إسرائيل ويضعون أيديهم على اللاويين ليخدموا خدمة الرب[١] .

ومقابل ما كان يفعله اللاويون من خدمات لبيت الرب وللشعب كان لهم بعض الحقوق فقد ذكر فى سفر العدد : أما بنو لاوى فإنى قد أعطيتهم كل عشر فى إسرائيل ميراثاً عوض خدمتهم التى يخدمونها[٢] . وكان لهم أيضاً مدن لكى يسكنوا فيها ، ومسارح حواليها لبهائمهم وسائر حيواناتهم[٣] .

وبذلك نلاحظ أن الكهنة واللاويين على السواء ، كانوا مجندين لخدمة الرب فى بيت العبادة ، ولنصح الشعب وارشاده .

(١) عدد ٨/٥ — ١٤ .
(٢) عدد ١٨ /٢١ .
(٣) عدد ٣٥/ ٢ .

الفصل الثالث

(١) خيمة الاجتماع والتابوت والهيكل

خيمة الاجتماع والتابوت والهيكل كانت جميعها مدلولات لمفهوم واحد وإن اختلف كل منها عن الآخر من ناحية المظهر والتكوين الخارجى .

فهى جميعها المكان الذى تحل فيه روح الرب ، ومنها يفرض تعاليمه على الشعب ، فالرب يحل فى خيمة اجتماع بنى إسرائيل ، إليه يجتمعون وعليه يأتلفون ، فهو الجـــامع لهم وهو الهيكل لهم وهو التابوت لهم .

وخيمة الاجتماع عبارة عن خيمة نصبها موسى ، وأطلق عليها هذا الإسم وكان من يطلب الرب يخرج إلى هذه الخيمـة ، وعندما يدخل موسى إلى الخيمـة ينزل عمود السحاب ويقف عنـد باب الخيمة ، وعندئذ يتـكلم موسى مع الرب ، فيرى جميع الشعب عمود السحاب واقفاً عند باب الخيمة ويقوم كل الشعب ويسجد كل واحد فى باب

خيمته[١] . فخيمة الاجتماع تعتبر المكان الذى يسكن فيه الإله فقد جاء فى سفر الخروج : وأسكن فى وسط بنى إسرائيل وأكون لهم إلهاً[٢]. وكان الشعب يجتمع أحياناً أمام الخيمة فى انتظار سماع كلمة الرب ، ومعرفة إرادته فى الشئون التى تهمهم أو تعنيهم مثل توزيع الأرض بين الأسباط فقد جاء فى سفر يشوع : هذه هى الأنصبة التى قسمها العازر الكاهن ويشوع بن نون ورؤساء آباء أسباط بنى إسرائيل بالقرعة فى شيلوه أمام الرب لدى باب خيمة الاجتماع ، وانتهوا من قسمة الأرض[٣] .

أما التابوت فكان عبارة عن صندوق طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف ، وارتفاعه ذراع ونصف ومغطى بالذهب من الخارج ، وبه أربع حلقات من ذهب فى أركانه يدخل فيها عمودان من الخشب لحمله[٤] . ويقال إن به لوحى العهد الذى قطعه الرب للإسرائيليين عندما خرجوا من مصر .

---

(١) خروج ٣٣/٧ — ١٠ .
(٢) خروج ٢٩ : ٤٥ .
(٣) يشوع ١٩/٥١ .
(٤) خروج ٢٥/١٠ — ١٩

وكان داود وكل إسرائيل يلعبون أمام الله بكل عز وبأغان وعيدان وربابٍ ودفوف وصنوج وأبواق [1].

ويقال إن موسى كان إذا رأى التابوت وقد حمل وتحرك يقول قم يارب فليتبدد أعداؤك ويهرب مبغضوك من أمامك وعند حلول التابوت كان يقول ارجع يارب إلى ربوات إسرائيل [2].

وبما أن التابوت كان رمزاً للرب، فلا بد لمن يحمله أن يكون طاهراً، وإلا فعواقب الأمور تحل عليهم إذا اختل هذا الشرط. وإذا حمل التابوت إلى دار الحرب دل ذلك على مساندة الرب لهم في حربهم لينتصروا. وقد حمل التابوت ذات مرة رجال نجسون فوقع في أيدى الأعداء، وانهزم اليهود [3]. وعلى ذلك فوجود التابوت لا ينفع الذين أغضبوا الرب بخطاياهم.

أما هيكل الرب فقد أقيم بعد موت داود. وفي عهد سليمان الذى أراد أن يبنى بيتاً للرب فى أورشليم، يكون مركزاً للعبادة يلتفون

---

(١) أخبار الأيام الأول ١٣ | ٨.
(٢) عدد ٣٣/١٠.
(٣) صموئيل الأول ١٧/٤.

حوله ، ويؤدون فرائضهم الدينية ، وكان لبناء الهيكل شأن كبير في تاريخ اليهود حيث أصبحت أورشليم مقراً دينياً هاماً .

وجميع مقاسات الهيكل ضعف أقيسة خيمة الاجتماع ، فكان طول الهيكل ستين ذراعاً وطول الخيمة ثلاثين ذراعاً ، وعرضه عشرين ذراعاً وعرض الخيمة عشرة أذرع . . . الخ . فكانت نسبة أجزاء الهيكل بعضها لبعض كنسبة أجزاء الخيمة بعضها لبعض .

وقد بنى سليمان بداخل الهيكل محراباً ليضع فيه تابوت الرب ، وكان المحراب عشرين ذراعاً طولا وعرضا وسمكا . وغشاه بذهب خالص ، وغشى المذبح بأرز . وغشى سليمان البيت من داخل بذهب خالص ، وسد بسلاسل ذهب أمام المحراب وغشاه بذهب وغشى البيت جميعه بالذهب .

وعمل لباب المحراب مصراعين من خشب الزيتون ورسم عليهما نقش كروبيم[1] ونخيل وبراعم زهور وغشاها بذهب ورصع الكروبيم والنخيل بذهب وكذلك عمل لمدخل الهيكل قوائم من

(١) الكروبيم ترمز إلى الملائكة التي تخدم الله ، المفرد كروب ، ولكل كروب من الكروبيم المذكورة أربعة أوجه وجه إنسان ، ووجه أسد ، ووجه ثور ، ووجه نسر ، أي أن له نباهة الإنسان وشجاعة الأسد ، وقوة الثور ، وسرعة النسر .

خشب الزيتون مربعة ، ومصراعيه من خشب السرو . . . ونحت كروبيم ونخيلا وبراعم زهور ، وغشاها بذهب مطرق على المنقوش . وبنى سليمان داراً داخلية أى دارا للكهنة ، وحواليها الدار العظيمة التى كانت لعموم الناس[1] .

هذا وقد استغرق بناء الهيكل سبع سنوات ، وبعد الانتهاء من بنائه ، اجتمع شيوخ بنى إسرائيل ، ورؤساء الأسباط ، وأصعدوا تابوت عهد الرب اليه .

وهكذا كملت لهم صورة المكان الذى يحجون اليه . فها هو ذا مذبحهم وهيكلهم وتابوت ربهم .

(١) ملوك الأول ١٩/٦ — ٢٨ .

(ب) المـــذبح والقرابين

المذبح هو المكان الذى كانت تقدم عليه القرابين ، أو تطلق عليه البخور ، وكانت المذابح فى بداية الأمر منتشرة فى أماكن متعددة ، فوق المرتفعات والجبال ، ثم أصبح للمذبح مواصفات خاصة ، فهو يصنع من خشب السنط ، ويكون طوله خمسة أذرع وعرضه خمسة أذرع وارتفاعه ثلاثة أذرع ، وتصنع قرونه على زواياه الأربعة ويغشى بالنحاس ، وتصنع قدوره لرفع رماده . . . وتصنع عصوان للمذبح من خشب السنط وتدخلان فى الحلقات فتكونان على جانبى المذبح حينما يحمل[١] .

أما مذبح البخور فكان طوله ذراعاً ، وعرضه ذراعاً ، وارتفاعه ذراعين ، ويصنع من خشب السنط ويغشى بذهب نقى ، ويصنع له اكليل من ذهب حواليه وتصنع له حلقتان من ذهب على جانبيه توضع فيهما عصوان لحمله[٢] .

---

(١) خروج ١/٢٧ — ٨
(٢) خروج ١/٣٠ — ٥

وكان بنو إسرائيل يزنون مقدار تقربهم للرب حسب ما يقدمونه له من ذهب وفضه وذبائح . وأنفس وأثمن ما يقدم هو الذهب ، لذلك كانوا مذبح الرب بالذهب ، كما قدموا له أطباقاً من الذهب والفضة فقد جاء فى الإصحاح السابع من سفر العدد ما يلى :

هذا تدشين المذبح يوم مسحه من رؤساء إسرائيل . أطباق فضة اثنا عشر ومناضح فضة اثنتا عشرة ، وصحون ذهب اثنا عشر كل طبق مائة وثلاثون شاقل فضة ، وكل منضحة سبعون . جميع فضة الآنية ألفان وأربعمائة على شاقل القـــدس ... جميع ذهب الصحون مائة وعشرون شاقلا . كل الثيران للمحرقة اثنا عشر ثوراً ، والكباش اثنا عشر ، والخراف اثنا عشر ، والخراف الحولية اثنا عشر مع تقدمتها ، وتيوس المعز اثنا عشر لذبيحة الخطية . وكل الثيران لذبيحة السلامة أربعة وعشرون ثوراً . والكباش ستون والتيوس ستون والخراف الحولية ستون[1] .

وكان اليهود يتقربون إلى الرب إبتغاء مرضاته وخوفاً منه ، واتقاء لغضبه ، لذلك كانوا يقدمون القرابين المختلفة حيوانية أو نباتية ، كما

(١) عدد ٧/ ٨٤ — ٨٨

كانوا يقدمون أثمن ما فى الوجود وهى النفس الإنسانية قرباناً للرب دون وعى أو فهم . ولهذا أخذ النسك صورة وثنية خارجة وبعيدة كل البعد عن جوهر الدين .

فهم كانوا يقدمون القرابين البشرية فى مختلف المناسبات لتعم عليهم البركة والخير فأحياناً نجدهم يأتون بضحيتهم ويدفنونها فى أساس المبنى الذى يشيدونه كما فعل حيئيل البيتئيلى الذى بنى أريحا وقال إنه وضع أساسها بابيرام بكره ، ونصب أبوابها بسجوب صغيره[١] .

وقد يقدمون أبناءهم ضحية للرب وفاء لنذر نذروه كما حدث مع يفتاح الجلعادى الذى نذر نذراً للرب قائلا : إن دفعت بنى عمون ليدى فالخارج الذى يخرج من أبواب بيتى للقائى عند رجوعى بالسلامة من عند بنى عمون يكون للرب واصعده محرقة ، ثم عبر يفتاح إلى بنى عمون لمحاربتهم ، فدفعهم الرب ليده ، ثم تمضى القصة وتقول أن يفتاح قتل ابنته الوحيدة لأنها كانت أول من خرج للقائه من أهل بيته بدفوف ورقص عندما علمت بعودة أبيها . غير أنه قتلها وفاء لنذره الذى نذره[٢] .

---

(١) ملوك الأول ١٦/٣٤ .
(٢) قضاة ١١/٣٠ — ٤٠

وفى مواضع متعددة من العهد القديم نجد أن الرب يثور على الشعب لأنهم كانوا يلقون بأبنائهم وبناتهم فى النار مرضاة لمولك وللآلهة الأخرى[١].

وقد حدد رب إسرائيل فى العهد القديم بدقة وبالتفصيل الذبائح المتنوعة التى يجب أن تقدم إليه من الحيوانات والطيور وغيرها ، ففى سفر اللاويين جاء أنه إذا قرب إنسان قرباناً من البهائم فإن كان محرقة[٢] من البقر فذكرا صحيحاً يقربه إلى باب خيمة الإجتماع للرضا عنه أمام الرب ، ويضع يده على رأس المحرقة فيرضى عنه للتكفير عنه... ويسلخ المحرقة ويقطعها ويجعل بنو هارون الكاهن ، ناراً على المذبح ويرتبون حطباً على النار ثم يضعون القطع مع الرأس والشحم فوق الحطب الذى على النار التى على المذبح ، وأما أحشاؤه وأكارعه فيغسلها بماء ، ويوقد الكاهن الجميع على المذبح محرقة وقود رائحة سرور للرب[٣] ، وإن كان قربانه للرب من الطير فيقرب القربان من اليمام أو من فراخ الحمام ، يقدمه الكاهن إلى المذبح . ويعصر دمه على

---

(١) ملوك الثانى ٢٣/١٠ .

(٢) المحرقة هو القربان الذى تحرق فيه جميع الأجزاء الصالحة للطعام ، أما الجلد فيكون من نصيب الكهنة ، لاويون ٧/٨ .

(٣) لاويون ١/٢ — ٩

حائط المذبح ، وينزع حوصلته ويطرحها إلى جانب المذبح إلى مكان الرماد ويشقه بين جناحيه لا يفصله ويوقده الكاهن على المذبح فوق الحطب[١] . . إلخ

ولم تكن التقدمات تقتصر على هذه الذبائح فحسب ، بل كانت في أحيان أخرى عبارة عن مأكولات من الفطير أو الرقاق ، وقد تكون فريكا مشويا بالنار[٢] .

وكانت تقدم للرب في صورة معدة للأكل، وهكذا فعل جدعون حيث عمل جدى معزى وأيفه دقيق فطيرا ، ووضع اللحم في سل، أما المرق فوضعه في قدر وخرج بها ، وعندما رآه ملاك الله قال له خذ اللحم والفطير ، وضعهما على تلك الصخرة ، واسكب المرق ففعل كذلك. فمد ملاك الرب طرف العكاز الذى بيده ومس اللحم والفطير فصعدت نار من الصخرة وأكلت اللحم والفطير[٣] .

ومن القرابين أيضاً التى أشار إليها العهد القديم ، الزيت والماء

(١) لاويون ١/١٤ — ١٧ .
(٢) لاويون ٢/٤ — ١٥ .
(٣) قضاة ٦/١٩ — ٢١ .

والخمر[1] والمحاصيل الزراعية مثل القمح وثمار الأشجار[2] وكانت تقدم باكورة الأشياء قرباناً للرب ، أى أبكار الحيوان وأبكار الأرض ، ويبدو أن الغرض من ذلك هو تقديم أحسن ما يمكن تقديمه للاله .

غير أن إله إسرائيل لم يكن يرضى فى أغلب الأحيان عن تقدمات شعبه لأنهم كانوا كثيراً ما يخالفون أوامره ، ويرتكبون الآثام والمعاصى ، لذلك وجدناه يغضب عليهم ويثور ويتوعدهم قائلا :

لأن بنى يهوذا قد عملوا الشر فى عينى الرب . وضعوا مكرهاتهم فى البيت الذى دعى باسمى لينجسوه ، وبنوا مرتفعات توفه التى فى وادى ابن هنوم ليحرقوا بنيهم وبناتهم بالنار ، الذى لم آمر به ولا صعد على قلبي ، لذلك هاهى أيام تأتى يقول الرب ولا يسمى بعد توفه ولا وادى ابن هنوم ، بل وادى القتل ، ويدفنون فى توفه حتى لا يكون موضع . وتصير جثث هذا الشعب أكلا لطيور السماء ولوحوش الأرض ولا مزعج . وأبطل من مدن يهوذا ومن شوارع أورشليم صوت الطرب ، وصوت الفرح ، صوت العريس ، وصوت العروس

(١) تكوين ١٨/٢٨ ، ١٤/٣٥ ، صموئيل الأول ٦/٧ .
(٢) نحميا ١٠/٣٧ — ٣٩ .

لأن الأرض تصير خرابا[١] .

وفى موضع آخر يقول :

« إنى إذا قدمتم لى محرقاتكم وتقدماتكم لا أرتضى ،وذبائح السلامة من مسمناتكم لا ألتفت إليها أبعد عنى ضجة أغانيك،ونغمة ربابك لا أسمع ، وليجر الحق كالمياه والبر كنهر دائم[٢] ».

(١) أرميا ٧/٣٠ — ٣٤ .
(٢) عاموس ٥/٢٢ — ٣٤ .

(ج) الختان

كان الختان فريضة من الفرائض التي يجب أن يمارسها بنو إسرائيل ويظهر أن اليهود قد اقتبسوا هذه العادة من مصر ؛ فسفر يشوع يقص علينا أن جميع اليهود الذين خرجوا من مصر كانوا مختونين[١]، ويبدو أن الأساس في الختان لدى المصريين القدماء هو الوقاية الصحية من الأقذار التي تتعرض لها الأعضاء التناسلية . وقد نقل اليهود هذه العادة منهم وجعلوا الختان شعيرة من الشعائر الدينية ، وعلامة من علامات حلف الدم بين يهوه وبني إسرائيل ، وفيه تعهد الرب بأن يرعى بني إسرائيل ، طالما يقومون بعبادته وينفذون تعاليمه . فقد جاء في سفر التكوين : إن الله اتخذ عهداً مع إبراهيم قائلا : هذا هو عهدي الذي تحفظونه ، بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك ، يختن منكم كل ذكر ، فتختتنون في لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بيني وبينكم . ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر في أجيالكم . وليد البيت ، والمبتاع بفضة من كل ابن غريب ليس من نسلك ، يختن ختانا وليد بيتك والمبتاع بفضتك ، فيكون عهدي في لحمكم عهداً

---

(١) يشوع ٥/٤ — ٥ .

أبديا . وأما الذكر الأغلف الذى لايختن فى لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها انه قد نكث عهدى[٢] .

وكان للختان أهمية كبيرة ، لذلك كان لابد لكل من ينتسب إلى جماعة بنى اسرائيل أن يمارس هذه العملية ، وتوضح التوراة أهمية مشروعية الختان ، وكيفية تقبل الشعوب المجاورة لبنى اسرائيل له ، حيث ذكرت قصة دينة إبنة يعقوب التى أحبها شكيم وغرر بها ، ثم رغب فى الزواج منها معلنا بذلك رغبته فى أن يصاهر قومه قوم يعقوب فوافق أبناء يعقوب على ذلك على شرط أن يختن الذكور من أبناء المنطقة قائلين لهم إن صرتم مثلنا بختنكم كل ذكر نعطيكم بناتنا ونأخذ لنا بناتكم ، ونسكن معكم ونصير شعباً واحداً ، وان لم تسمعوا لنا أن تختنوا نأخذ أبنتنا ونمضى . فوافقوا على هذا الشرط وحدث أنه فى اليوم الثالث حيث كانوا متوجعين بعد الختان أن ابنى يعقوب شمعون ولاوى أخوى دينه أتيا على المدينة ، وقتلا كل ذكر ، ونهبوا المدينة لأنهم نجسوا أختهم[١] .

---

(١) تكوين ٩/١٧ — ١٤ .

(٢) تكوين ٣٤ ١ — ٢٩ .

هذا ويعتقد وليم ديورنت أن عملية الختان من أعمال التضحية وربما كانت فدية لتضحية أخرى أشد منها قسوة يكتفى فيها الإله بأخذ جزء من كل [١] .

(١) قصة الحضارة الجزء الثانى المجلد الأول ص ٣٤٥ .

الفصل الرابع

(أ) البركة والبكورية

للبركة عند اليهود أهمية خاصة ، منها يستمد الشخص القوة ويصير كل ما يمتلكه ممتلئا بالخير . وقد كانت البركة تمنح عادة من الرب الى الإنسان وعندئذ يعم الخير حقله ومواشيه وسائر ممتلكاته فقد جاء فى سفر التثنية :

« ان سمعت لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه التى أنا أوصيك بها اليوم يجعلك الرب الهك مستعليا على جميع قبائل الأرض وتأتى عليك جميع هذه البركات ، مباركا تكون فى المدينة، مباركا تكون فى الحقل ومباركة تكون ثمرة بطنك، وثمرة أرضك، وثمرة بهائمك ، نتاج بقرك ، وإناث غنمك ، مباركة تكون سلتك ومعجنك ، مباركا تكون فى دخولك ومباركا تكون فى خروجك »[1] .

فالبركة إذن عبارة عن أقوال دعائية كانت تصدر من الرب ،

---

(١) تثنية ٢٨ : ١ ـ ٧ .

أو من الآباء الأولين ، وكان لهذه الأقوال أثرها المباشر فى حياة الأشخاص الذين ينالون هذه البركة ، مثال ذلك تلك الأقوال التى قالها يعقوب عندما بارك ابنى يوسف إفرايم ومنسى بعد ما وضع يديه على رأسيهما قائلا الله الذى سار أمامه أبواى ابراهيم واسحق ، الله الذى رعانى منذ وجودى الى هذا اليوم الملاك الذى خلصنى من كل شر ، يبارك الغلامين وليدع عليهما اسمى واسم أبوى ابراهيم واسحق وليكثرا كثيراً فى الأرض [١] .

وكانت البركة إلزامية لمن يتلقاها ، والرجل كان يجب عليه أن يرتبط بكامته ، حتى ولو أعطاها فى غير المصلحة التى يتمناها أو صدرت منه خطأ دون علم أو معرفة مثال ذلك أن اسحق أراد فى أيامه الأخيرة أن يبارك إبنه الكبير عيسو ، غير أن زوجته رفقة رغبت فى أن يتلقى أثيرها يعقوب بركة أبيه ، فانتحل يعقوب شخصية أخيه ، ولبس فى يديه وعنقه جلود جدى المعزى لأن أخاه كان أشعرا ، وتقدم لأبيه لكى يباركه وكان اسحق قد كلت عيناه عن النظر فلم يستطع أن يميزه لأن يديه كانتا مشعرتين مثل يدى عيسو فباركه . وعندما علم الرجل

---

(١) تكوين ٤٨ : ١٥ — ١٦

المسن بأنه بارك يعقوب بدلا من عيسو ارتعد ارتعادا عظيما ، وصرخ عيسو هو الآخر صرخة كبيرة ومرة ، وقال لأبيه باركنى أيضاً فقال الوالد قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك ، فقال عيسو ألأن اسمه دعى يعقوب فقد تعقبنى الآن مرتين أخذ بكوريتى وهو ذا الآن قد أخذ بركتى . ثم قال أما أبقيت لى بركة فأجاب اسحق انى قد جعلته سيداً لك ودفعت اليه جميع اخوته عبيداً وعضدته بحنطة وخمر فماذا أصنع اليك يا ابنى [1] .

هذا وقد كان لقب البكورية يمنح للابن البكر فقط . وكان الابن البكر مفضلا على الاخوة جميعاً فى حصوله على هذه الميزة ، لأنه بمقتضاها كان له الحق فى أن يكون ميراثه مضاعفاً عن اخوته ، كما كان هو الشخص الوحيد صاحب الحق فى بركة والده .

ويبدو أن السبب الرئيسى فى هذه الميزة هو أن الابن البكر يعتبر رب الأسرة بعد والده ، فهو الذى يحافظ عليها ، ويقوم بجميع الأعباء الملقاة على عاتق الأب فكان يعتبر المسئول عن اخوته بعد وفاة الوالد .

---

(١) تكوين ٢٧ : ٦ — ٣٧ .

(ب) الصلاة

جوهر الصلاة أنها صلة بين العبد وربه ، وإن كانت هذه الصلة تؤدى بطرق متعددة مختلفة فى جميع الأديان ، فاذا قامت الصلة قامت الصلاة ، لا توقيت ولا وقت لها . وهنا يتفاوت أداء هذه الصلة والعلم عنها بين كل فرد وآخر ، تلك الصلة التى تقوم بين عبد عرف ربه ورب ينتظر أوبة عبده .

وكانت الصلاة فى بداية أمرها عند العبريين عبارة عن تأدية شكر ، وكانت تؤدى عن طريق تقديم القرابين والتقدمات للرب فالعبادة عندهم كانت تتم عن طريق تقديم أى شيء من مال الإنسان وقد وضح الرب أفضلية العبادة على التقدمات بلسان أنبيائه ، وبين أن الاستعداد القلبي خير من تقديم القرابين فقد جاء :

« احفظ قدمك حين تذهب الى بيت الله ، فالاستماع أقرب من تقديم ذبيحة الجهال . لأنهم لا يبالون بفعل الشر ، لا تستعجل فمك ، ولا يسرع قلبك الى نطق كلام قدام الله . لأن الله فى السموات وأنت على الأرض ، فلذلك لتكن كلماتك قليلة[1] » .

---

(١) الجامعة ٥ : ١ — ٢

وكانت الصلاة فى بداية أمرها عبارة عن بعض الأدعية يتلوها بعض الأشخاص رجاء تحقيق غرض من الأغراض فمثلا وجدنا أن يعقوب كان يناجى الله قائلا :

« يا إله أبى ابراهيم ، وإله أبى اسحق ، الرب الذى قال لى ارجع الى أرضك والى عشيرتك فأحسن اليك . صغير أنا عن جميع ألطافك، وجميع الأمانة التى صنعت الى عبدك . فانى بعصاى عبرت هـــذا الأردن ، والآن قد صرت جيشين ، نجنى من يد أخى من يد عيسو لأنى خائف منه أن يأتى ويضربنى الأم مع البنين . وأنت قد قلت انى أحسن اليك وأجعل نسلك كرمل البحر الذى لا يعد للكثرة »[1] .

ثم أصبح للصلاة مواقيت وطقوس خاصة ، وكان ذلك فى عهد الأنبياء ، فوجدنا أن دانيال قد اتجه فى قبلته الى أورشليم وكان يجثو على ركبتيه ثلاث مرات فى اليوم ويصلى[2] . وكانت الصلاة مكونة غالباً من النثر ثم من النظم ، وتتلى بالغناء فى الإبتداء . وبالتدريج صارت تستعمل آلات موسيقية قانونية كما يتضح من سفر المزامير ، وكان يخصص مغنون لهذا القصد ، فان عزرا يذكر فى

---

(١) تكوين ٣٢ : ٩ — ١٢ .

(٢) دانيال ٦ : ١٠ .

سفره أن بين الذين رجعوا من بابل من السبي كان مائتان من المغنيين والمغنيات[١] .

وأنه بناء على نص الآية في عاموس ٤ : ١٢ « فاستعد للقاء إلهك يا إسرائيل » .

كان الأتقياء والمتعبدون يصرفون نحو ساعة من الزمان استعدادا للصلاة فيما يخص النظافة واللبس وجمع الأفكار وما أشبه ذلك. وكان عزرا يوصي بوجوب غسل الجسم بكل تدقيق قبل العبادة. وفي الجاميع كانت أماكن الجلوس مرتبة حسب درجات الشعب ومراكزهم من أمام الهيكل إلى الوراء[٢] .

وكانت هناك بعض الطقوس الملازمة للصلاة ، مثل التفليم[٣] وهي عبارة عن بعض الأدعية كتبت على قطعتين من الرق ، وكانت تذكر كلما تهيا في البيت وعند السير وعند النوم أو القيام .

والمزوزه[٤] وهي قطعة من الرق كتبت عليها بعض آيات من

---

(١) عزرا ٢ : ٦٥

(٢) سدور فارحي ص ٨

(٣) جمع تفلة بمعنى صلاة (خروج ١٣ : ٩ — ١٠)

(٣) أخذ أسمها من قائمة الباب بالعبرية (تثنية ٦ . ٩)

التوراة ، وتثبت على قوائم أبواب البيت وعلى الغرف ، وقدوضعت في هذا الموضع لـكي يتذكر الداخل إلى المنزل والخارج منه الواجبات التي يجب عليه اتباعها .

أما الجدائل فهي عبارة عن خيوط تتصل بأذيال الثياب بطريقة خاصة وترمز إلى اسم الجلالة ، لـكي يتذكروا وصايا الرب ويعملوا بها [1] .

ومهما يكن من أمر الصلاة فإن أغلب الإسرائيليين كانوا يؤدونها دون صفاء في السريرة ، مثل الطقوس الأخرى التي كانوا يقومون بها ، فالتقدمات والصلوات تعد باطلة إذا لم تـكن مقترنة بفعل الخير ، وطلب الحق ، وإنصاف المظلوم : « لماذا لي كثرة ذبائحـكم يقول الرب . اتخمت من محرقات وكبـــاش وشحم مسمنات وبدم عجول وخرفان وتيوس ما أسر . . . البخور هو مكرهة لي ، ورأس الشهر والسبت ونداء المحفـــل . لست أطيق الإثم والاعتـكاف، رؤوس شهوركم وأعيادكم بغضتها نفسي .

---

(١) عدد ١٥ : ٣٧ — ٤٠ .

صارت على ثقلا . مللت حملها . فحين تبسطون أيديكم أستر عيني عنكم ، وإن كثرتم الصلوات لا أسمع. أيديكم ملآنة دما . اغتسلوا تنقوا اعزلوا شر أفعالكم من أمام عيني كفوا عن فعل الشر ، تعلموا فعل الخير ، أطلبوا الحق ، انصفوا المظلوم ، إقضوا لليتيم حاموا عن الأرملة[1] » .

(١) أشعيا ١ : ١١ — ١٨ .

(ﺣ) السبت والأعياد

يعتبر يوم السبت عند اليهود من الأيام المقدسة لديهم ، والسبت هو « شبات » فى العبرية بمعنى راحة ، لأنه اليوم الذى استراح فيه الرب ، لذلك أمر عباده بالاستراحة فيه ، وعدم القيام بعمل ما ، فقد جاء فى سفر الخروج :

« تحفظون السبت لأنه مقدس لكم ، من دنسه يقتل قتلا ، إن كل من صنع فيه عملا تقطع تلك النفس من بين شعبها ، ستة أيام يصنع عمل ، أما اليوم السابع ففيه سبت عطلة مقدس للرب ، لأنه فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض وفى اليوم السابع استراح وتنفس [(١)] .

وفى موضع آخر من هذا السفر جاء : ست سنين تزرع أرضك وتجمع غلتك وأما فى السابعة فتريحها ، وتتركها ليأكل فقراء شعبك . وفضلتهم تأكلها وحوش البرية . كذلك تفعل بكرمك وزيتونك ستة أيام تعمل عملك وأما اليوم السابع ففيه تستريح لكى يستريح ثورك وحمارك ويتنفس ابن أمتك والغريب » [(٢)] .

(١) خروج ٣١ : ١٤ — ١٧ .
(٢) خروج ٢٣ : ١٠ — ١٢ .

وقد أكد الرب قدسية هذا اليوم فى مواضع متعددة من العهد القديم ، وذكر سفر العدد أن بنى إسرائيل عندما كانوا فى البرية وجدوا رجلا يحتطب حطبا يوم السبت فقدموه إلى موسى وهارون حتى يصدر الله حكمه فيه . وقد قال الرب لموسى قتلا يقتل الرجل ويرجم بالحجارة[١] .

ويقول وليم ديورانت : لعل تسمية هذا اليوم بل لعل العادة نفسها قد جاءت من البابليين ، فقد كان هؤلاء يطلقون على أيام الدعاء والصوم شبتو[٢] .

وعلى ذلك فيوم السبت لدى اليهود من الأيام المقدسة التى حرم العمل فيها مثل أيام الأعياد تمجيداً لهذه الأيام .

والأعياد عند بنى إسرائيل متعددة ولها أسماء مختلفة، نذكر منها:

(١) عيد الفصح :

ويسمى عيد الفطير أيضاً ، ويحتفل فيه اليهود بخروجهم من مصر بقيادة موسى فى شهر نيسان (إبريل) بعد أن قضوا أربعمائة وثلاثين

(١) عدد ١٥ : ٣٢ ـ ٣٥ .

(٢) قصة الحضارة ج ٢ المجلد الأول ص٣٧٣.

سنة فى مصر وقد ذكر فى الاصحاح الثانى عشر من سفر الخروج الأصول الواجب إتباعها فى ذلك اليوم فجاء :

« وفى العاشر من هذا الشهر يأخذ كل واحد شاة بحسب بيوت الآباء ، شاة للبيت وإن كان البيت صغيرا عن أن يكون كفوا لشاة يأخذ هو وجاره القريب من بيته بحسب عدد النفوس ، وتكون الشاة صحيحة ذكراً ابن سنة تأخذونه من الخرفان أومن المواعز . ويكون عندكم تحت الحفظ إلى اليوم الرابع عشر من هذا الشهر . ثم يذبحه كل جمهور جماعة إسرائيل فى العشية . ويأخذون من الدم ويجعلونه على القائمتين والعتبة العليا فى البيوت التى يأكلون فيها ، ويأكلون اللحم تلك الليلة مشويا بالنار مع فطير . على أعشاب مرة يأكلونه . لا تأكلوا منه نيئاً أو طبيخا مطبوخا بالماء بل مشويا بالنار . رأسه مع أكارعه وجوفه . ولا تبقوا منه إلى الصباح . والباقى منه إلى الصباح تحرقونه بالنار . وهكذا تأكلونه أحقاؤكم مشدودة وأحذيتكم فى أرجلكم وعصيكم فى أيديكم ، وتأكلونه بعجلة . هو فصح للرب . فإنى أجتاز فى أرض مصر هذه الليلة وأضرب كل بكر فى أرض مصر من الناس والبهائم وأصنع أحكاما بكل آلهة المصريين أنا الرب . ويكون لكم الدم علامة على البيوت التى أنتم فيها ، فأرى الدم وأعبر

عنكم[١] .

هذا وقد كانت العادة الشائعة لدى اليهود فى ذلك اليوم أن يأكلوا فطيرا دون أن يختمر ، والسبب فى ذلك أنهم حين خرجوا من مصر كان خروجهم سريعاً ، فلم يستطيعوا أن يعدوا خبزهم . لذلك أخذوه فطيرا دون أن يختمر وحمل أفراد الشعب عجينهم ومعاجنهم مصرورة فى ثيابهم .

وقد أشارت التوراة إلى ذلك حيث جاء : سبعة أيام تأكلون فطيراً اليوم الأول تعزلون الخمير من بيوتكم ، فإن كل من أكل خميرا فى اليوم الأول إلى اليوم السابع تقطع تلك النفس من إسرائيل ويكون لكم فى اليوم الأول محفل مقدس وفى اليوم السابع محفل مقدس لا يعمل فيهما عمل ما إلا ما نأكله كل نفس فذلك وحده يعمل منكم[١] .

٢ — عيد البوريم :

أو عيد استير ، ويحتفل فيه اليهود بذكرى نجاتهم على يد امرأة

---

(١) خروج ١٢ : ١٢ — ١٣ .
(١) خروج ١٢ : ١٥ — ١٦

يهودية تدعى أستير ، كانت تزوجت ملكاً من ملوك الفرس ، وكان لهذا الملك وزير يدعى هامان أراد أن يهلك اليهود الذين فى المملكة ، واستطاع أن يستصدر أمراً من الملك باهلاك وقتل وإبادة جميع اليهود من الغلام إلى الشيخ والأطفال والنساء فى يوم واحد فى الشهر الثانى عشر[1] أى شهر آذار (مارس) غير أن أستير استطاعت أن تحبط مؤامرة هامان ، ودبرت مكيدة قضت فيها عليه ، وعلى جميع أعداء اليهود . وفى ذلك اليوم أصبح موجباً على اليهود أن يعيدوا فى اليوم الرابع عشر من شهر آذار واليوم الخامس عشر منه فى كل سنة . فهو عيد فرح وسرور بالنسبة لهم[2] .

٣— عيد الأسابيع (الخمسين) :

ويكون فى اليوم الخمسين بعد الفصح بسبعة أسابيع ، ويقربون فى هذا اليوم الخبز وسبعة خراف صحيحة حولية ، وثوراً واحداً ابن بقر وكبشين ، ويعملون تيساً واحداً من المعز ذبيحة خطية ، وخروفين

---

(١) كان للعبريين سنتان مختلفتان : سنة دينية وتبدأ بشهر نيسان (أبريل) والثانية مدنية وتبدأ بشهر أكتوبر أو تشرين ، ويلاحظ أن العهد القديم يسير على السنة الدينية .

(٢) أستير ٣ : ١٢ — ١٥ ، من ص ٤ — ٩

حوليين ذبيحة سلامة ، ويكون هذا اليوم محفلا مقدساً لايعملون عملا ما[١] ..

٤— عيد المظال :

يحتفل به اليهود فى اليوم الخامس عشر شهر تشرين (أكتوبر) تذكاراً لإظلال الله لهم بالغمام فى التيه ، ولحمايتهم فى البرية بعد أن خرجوا من أرض مصر فى طريقهم إلى الأرض المقدسة ، لذلك يجلسون تحت ظلال سعف النخل الأخضر وأغصان الزيتون أو الشجر تذكارا لما فعله آباؤهم فى الأزمنة القديمة[٢] .

٥— يوم الكفارة :

وهو فى الشهر السابع (أكتوبر) فى عاشر الشهر ، وقد عرف بهذا الاسم لأنه فى هذا اليوم يكفر عن الخطايا التى ارتكبها بنو إسرائيل فيتطهرون. وكانت الطريقة المتبعة للتكفير هى أن يحضر الكاهن تيسا حيا ، ويضع يديه على رأسه ويعترف بكل ذنوب بنى

(١) لاويون ٢٣ : ١٥ — ٢٢ .
(٢) لاويون ٢٣ : ٣٣ — ٤٤

إسرائيل وكل سيئاتهم مع كل خطاياهم ويجعلها على رأس التيس ، ثم يطلقه فى البرية حاملا كل خطايا الشعب ، ثم يعمل محرقته ، ومحرقة للشعب ويكفر عن نفسه وعن الشعب[٢] .

(١) لاويون ١٦ : ٢٠ — ٣٠ .

(د) الروح والبعث

يتطور الفكر ويتدرج تبعاً لوعى الإنسان ودرجة رقيه . كذا الإيمان بالغيبيات يتطور حسب وعى كل فرد وإدراكه للمعرفة ، فما هو معروف لكائن قد يكون مجهولا لآخر . وما هو قمة المعرفة بالنسبة لفرد قد يكون بديهياً لفرد آخر .

وقد كانت الروح عند بنى إسرائيل من الغيبيات التى نادراً ما يتكلمون عنها ، لأنهم لم يتطرقوا إلى كنهها أو سرها ، فلم تكن مجال علم أو معرفة بالنسبة لهم ، لذلك وجدناهم قد صوروها حسب إدراكهم فكانوا يعتقدون أن الروح تذهب إلى مكان ما تحت الأرض يسمى شئول (الهاوية) لتلتقى بسائر الأرواح فيعيش الكل فى حزن ووجوم بلا ثواب وعقاب[1] .

وقد تكون الروح رديئة فتلاصق الأشخاص وتحل فيهم فقد جاء فى سفر صموئيل أن روح الرب ذهب من عند شاؤل وبغتة روح ردىء من قبل الرب[2] .

(١) أشعيا ١٤ : ٩
(٢) صموئيل الأول ١٦ : ١٤

كما قد تكون الروح روح كذب وعندئذ تغوى الناس فينطقون بغير صدق[١] .

وأحياناً تكون روحا طيبة من قبل الله فتملأ الشخص بالحكمة والفهم والمعرفة[٢] .

وكان من الممكن استدعاء بعض الأرواح والتحدث إليها ، فقد استطاعت امرأة من الجان أن تحضر روح صموئيل وتصفها، ويتحدث معها شاؤل فقد جاء فى العهد القديم أن صموئيل تحدث مع شاؤل قائلا لماذا أقلقتنى باصعادك إياى فقال شاؤل ، قد ضاق بى الأمر جداً . الفلسطينيون يحاربوننى والرب فارقنى ولم يعد يجيبنى لا بالأنبياء ولا بالأحلام فدعوتك لكى تعلمنى ماذا أصنع . فقال صموئيل ولماذا تسألنى والرب قد فارقك وصار عدوك . وقد فعل الرب لنفسه كما تكلم عن يدى ، وقد شق الرب المملكة من يدك ، وأعطاها لقريبك داود لأنك لم تسمع لصوت الرب ، ولم تفعل حمو غضبه فى عماليق ، لذلك قد فعل الرب بك هذا الأمر اليوم . ويدفع الرب إسرائيل أيضاً معك ليد الفلسطينيين وغداً أنت وبنوك تكونون معى ويدفع الرب جيش

(١) ملوك الأول ٢٢ : ٢٢ .
(٢) خروج ٣١ : ٢ — ٣

إسرائيل أيضاً ليد الفلسطينيين[١] .

وقد ذكر فى العهد القديم أن هناك أرواحاً أخرى ، وأن هذه الأرواح كانت إما أرواح أشجار أو أنهار أو جبال وغير ذلك من مظاهر الطبيعة العاتية ، وكانوا يقدمون لها القرابين تقربا منها . وكان بعض هذه الأرواح من ذوات الأجنحة ، وهى الساروفيم[٢] ، وقد صورت فى بعض اصحاحات العهد القديم بأن لها أيد[٣] .

ومن الأرواح ما يخشى بأسه أكثر من غيره ، لذلك يتقون شرها بعمل تماثيل صغيرة من البرونز يضعونها فى أماكن عبادتهم . ومن أشهر هذه الأرواح ليليت[٤] وهى تسكن الصحراء ؛ « أوب » وهو من الجان وكانوا يستشيرونه لمعرفة المستقبل[٥] .

أما الأرواح الخيرة فغالباً ما تظهر فى صورة ملاك طاهر ، بوجه الأشخاص ، ويأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر ، والذى يطيعها يكون

(١) صموئيل الأول ٢٨/٣ — ١٩
(٢) اشعيا ٦ : ٢ — ٣
(٣) اشعيا ٦ · ٦
(٤) اشعيا ٣٤ : ١٤ ، صموئيل الأول ٢٨ : ٤
(٥) لاويون ١٩ : ٣١

مباركا ، أما من يعصيها فيشتد غضبها عليه[1] وهى تبلغ إرادة الرب إلى الأفراد ، لذلك تجدها مرسلة بوجه خاص للأنبياء ، وتوحى إليهم بما يريده الرب جاء فى سفر الخروج :

« ها أنا مرسل ملاكا أمام وجهك ليحفظك فى الطريق ، وليجىء بك إلى المكان الذى أعددته ، احترز منه واسمع لصوته ، ولا تتمرد عليه لأنه لا يصفح عن ذنوبكم ، لأن اسمى فيه ، ولكن إن سمعت لصوته وفعلت كل ما أتكلم به ، اعادى أعداءك وأضايق مضايقيك[2] .

أما فكرة البعث فلم تظهر عندهم إلا فى أزمنة متأخرة ، وكان فى رأيهم أن الميت لا يدرى شيئاً ، وكان الموت يصحبه ، عادة البكاء والصراخ على الموتى ، وخلع النعل وتمزيق الثياب[3] وكانوا يعتقدون فى بادىء الأمر أن الكائن الميت ليس له أجر أو جزاء فقد جاء فى سفر الجامعة : لكل الأحياء يوجد رجاء ، فان الكلب الحى خير من الأسد الميت ، لأن الأحياء يعلمون أنهم سيموتون ، أما الموتى فلا يعلمون

---

(١) خروج ٢٣ : ٢٠ .
(٢) خروج ٢٣ : ٢٠ — ٢٢
(٣) حزقيال ٢٤ : ١٧

شيئاً، وليس لهم أجر بعد لأن ذكرهم نسى ومحبتهم وبغضهم وحسدهم هلكت منذ زمان . ولا نصيب لهم بعد إلى الأبد فى كل ما عمل تحت الشمس[١] .

غير أنه وجدت بعد ذلك آيات فى العهد القديم تشير إلى قيامة الأموات وإلى الثواب والعقاب، نذكر منها : الرب يميت ويحيى ، يهبط إلى الهاوية ويصعد[٢] تحيا أمواتك تقوم الجثث . استيقظوا ترنموا ياسكان التراب[٣] ، كثير من الراقدين فى تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى أبعاد الازدراء الأبدى[٤]. هأنذا افتح قبوركم وأصعدكم من قبوركم ياشعبى واجعل روحى فيكم فتحيون[٥] .

وفى الآخرة ينال الإنسان أجره من ثواب أو عقاب[٦] .

هذا وقد كان للصالحين مكان خاص يستقرون فيه بعد الموت

---

(١) جامعة ٩ : ٤ ـ ٦
(٢) صموئيل الأول ٢ : ٦
(٣) اشعيا ٢٦ : ١٩
(٤) دانيال ١٢ : ٢ ، ٣
(٥) حزقيال ٣٧ : ١٢ ـ ١٤
(٦) مزامير ٣٧ : ٢٧ ـ ٤٠

وهو جنة عدن[١] لذلك فان الأمة البارة كان يرحب بها إذ قيل افتحوا الأبواب لتدخل الأمة البارة الحافظة الأمانة[٢] .

أما الأشرار فجزاؤهم جهنم[٣] .

---

(١) حزقيال ٢٨ : ١٣
(٢) اشعيا ٢٦ : ٢
(٣) اشعيا ١٤ : ٩ ـ ١٤



الباب الثانى

النظم التشريعية

كما يصورها العهد القديم



(ا) نبذة قصيرة عن النظم التشريعية

تزخر أسفار العهد القديم بكثير من النظم والأحكام التشريعية التي عمل بها اليهود منذ قديم الزمان ، وقد كانت هذه الأحكام متبولة فى تلك الأزمنة نظراً لبعض الاعتبارات الخاصة . فقد كان اليهود فى بداية أمرهم قوما رحلا ثم تطوروا إلى مزارعين ثم عنوا بالناحيـة الاقتصادية ، لذلك وجدنا أن نظمهم وقوانينهم قد أخـذت تتطور تدريجياً تبعاً لظروفهم الاجتماعية ، وإن ظلت أصول هذه التشريعات باقية حتى وقتنا الحاضر .

وقد تناول العهد القديم كثيراً من الموضوعات التى تتعلق بتنظيم الأحوال الشخصية ، الخاصة بالأسرة ، فأشار إلى الخطبـة والزواج والميراث وغيرها ، كما ذكر بعض الموضوعات التى تهتم بالعلاقات العامة والخاصة ، والملكية وتشريعات أخرى .

هذا وقبل أن نذكر شيئاً عن النواحى التشريعية ، يجدر بنا أن نقول كلمة موجزة عن النظم الاجتماعية التى كانت سائدة فى الحياة الاسرائيلية قبل تنظيم الأحكام التشريعية .

(ب) النظم الاجتماعية

كانت الحياة الاسرائيلية فى بداية أمرها حياة بدوية ، فكان الاسرائيليون يتنقلون من مكان إلى آخر طلباً للعيش . وقد احتفظت بعض الأقاليم زمناً طويلا بحياة تشبه حياة البدو فمن الأقوام من كانوا يعيشون على الرعى وتربية الماشية ويدل على ذلك أن بعض المناطق كانت تدفع الضريبة لملك إسرائيل مائة ألف خروف ومائة ألف كبش بصوفها[١] . وكان المجتمع فى ذلك الوقت يتكون من الأسرة والقبيلة والعشيرة . وكانت الأسرة الاسرائيلية تتكون من الأب والأم والأولاد . ويعتبر الأب المسئول الأول عن الأسرة فهو الذى ينظم أمورها ، ويدبر شئونها ، وكانت له سلطة مطلقة على أبنائه وأزواجه . فكان له الحق فى أن يبيع أبناءه وبناته بيع العبيد[٢] ، كما كان يستطيع أن يرهنهم وفاء لدين[٣] وكان نفوذه يمتد أيضاً إلى كل فرد يعيش فى كنفه أو تحت حمايته ، فكان له الحق فى أن

---

(١) ملوك الثانى ٣ : ٤

(٢) خروج ٢١ : ٧

(٣) ملوك الثانى ٤ : ١

يحرق زوجة ابنه المتوفى إذا زنت[١] .

أما المرأة فتظل تحت سيطرة الرجل ، وتعتبر جزءاً من البيت الاسرائيلى ، وتعتبر مثل سائر الممتلكات التى يمتلكها الرجل ، فهى كالسلعة المشتراة ، إن وجد صاحبها بها عيباً ردها إلى أهلها . فمثلا إذا وجد الزوج أن الفتاة غير عذراء ، حق له أن يردها إلى بيت أبيها ، ويأخذ مادفعه فيها ، وفى هذه الحالة ترجم الفتاة بالحجارة[٢] .

أما الأمه فكان يجب عليها أن تطيع زوجة سيدها ، فإن عصتها وقع عليها أشد العقاب . وكان ثمن الأمه ثلاثين شاقلا من الفضة[٣] وكانت للأمه أوضاع وأحكام خاصة بها .

أما القبيلة فكانت تتكون من مجموع الأسر ، وكانت النظم السياسية للقبيلة على جانب عظيم من البساطة ، ثم صارت تتحول بالتدريج إلى شىء من التماسك ، حيث أصبحت القبائل تجتمع فيما بينها على أساس ارتباطات شبه منتظمة .

ومن المرجح أن العشيرة هى الخلية الاجتماعية ، التى كانت أساساً

(١) تكوين ٣٨ : ٢٤

(٢) تثنية ٢٢ : ٢٠ — ٢١ .

(٣) هوشع ٣ : ٢

للنظام الاجتماعى لدى العبريين فى عهد بداوتهم ، وكان عددها يتراوح بين ثلاثمائة وبين ستمائة رجل أو ألف[١] وكان أعضاء العشيرة يعتبرون أنفسهم من دم واحد ، فاذا ماوقعت حرب ، أو إذا ما واجههم خطر طارىء قام بينهم ما يشبه أن يكون ملكية منظمة ، تحاول أن تقضى على روح الفردية التى تقف عقبة فى طريق النظام والعمل الجماعى. ولا شك أن هذا التغيير قد بلغ مداه منذ عهد القضاة .

هذا ولم يكن لبنى إسرائيل فى بداية أمرهم قضاء منظم فكان موسى يقضى للشعب بنفسه ، غير أنه بعد ذلك اختار بعض الأشخاص من ذوى القدرة الذين يخشون الله ، وعلمهم الفرائض والشرائع ، ثم جعلهم يقضون فى الدعاوى ، فأقام على الشعب رؤساء ألوف ، ورؤساء مئات ، ورؤساء خمسينات ورؤساء عشرات حتى يخفف من العبء الملقى عليه . فكانت الدعاوى العسرة يجيئون بها إلى موسى ، والدعاوى الصغيرة يقضون هم فيها[٢] وبهذه الطريقة تكون عند بنى اسرائيل ما يشبه بمجلس العشيرة ، وهو مجلس « الزقنيم » أى الشيوخ . وقد

(١) قضاة ١٦:٧ — ٢٢ ، ٨:٤ — ١٨ .

(٢) خروج ١٣:١٨ — ٢٧ .

وردت الإشارة إلى هؤلاء الزقنيم فى أماكن متعددة من التوراة فجاء فى سفر الخروج :

« فجاء موسى ودعا شيوخ الشعب ووضع قدامهم كل هذه الكلمات التى أوصاه بها الرب . فأجاب جميع الشعب معا . وقالوا كل ما تكلم به الرب نفعل[١] .

وكان المجلس الذى يجتمعون فيه يسمى موعيد وهو لفظ يمت إلى اللفظ العربى ميعاد ، ومعناه مكان الاجتماع . وكانت اجتماعاتهم تعقد عادة عند باب المدينة[٢] حيث تناقش الأمور المدنية والسياسية وكل ما يهم أمر العشيرة[٣] وكانت كلمة القاضى يجب أن يعمل بها ، لأنها جاءت حسب الشريعة فقد ورد فى سفر التثنية :

« إذا عسر عليك أمر فى القضاء بين دم ودم ، أو بين دعوى ودعوى أو بين ضربة وضربة ، من أمور الخصومات فى أبوابك فقم واصعد إلى المكان الذى يختاره الرب إلهك . واذهب إلى الكهنة واللاويين وإلى القاضى الذى يكون فى تلك الأيام واسأل فيخبروك

(١) خروج ١٩ : ٧ — ٨
(٢) عاموس ٥ : ١٠ .
(٣) النظم الاجتماعية والسياسية عند قدماء العرب والأمم السامية ص ١٧٨

بأمر القضاء . فتعمل حسب الأمر الذى يخبرونك به من ذلك المكان الذى يختاره الرب ، وتحرص أن تعمل حسب كل ما يعلمونك حسب الشريعة التى يعلمونك والقضاء الذى يقولونه لك تعمل[1].

وكانت مهمة القاضى الفصل فى المنازعات ، وفى الحالات التى لايتوفر فيها وجود شهود ، فيمين الله تكون الحكم الفاصل فى صدور الحكم[2] وقد ينفذ الحكم أمام القاضى أحياناً[3] ، وفى عصر الملوك وجدنا أن الملك هو المسئول عن الدعاوى التى تعرض ، فأحياناً نجده يبكر فى الصباح ، ويقف بجانب طريق الباب ، وكل صاحب دعوى يأتى إليه لكى يحكم فيسأله الملك من أية مدينة فيمين له سبطه ، فيحكم فى خصومته ودعواه وينصفه[4].

وكانت كلمة الملك لا ترد : فهو الحكم الفاصل فى الشكاوى التى تقدم ، ويظهر ذلك واضحاً فى كثير من القصص ، نذكر منها أنه جاءت إلى سليمان امرأتان تنسب كل منهما أمومتها لطفل رضيع ،

---

(١) تثنية ١٧ : ٨ — ١١
(٢) خروج ٢٢ : ٧ — ١١
(٣) تثنية ٢٥ : ١ — ٢
(٤) صموئيل الثانى ١٥ : ١ — ٦

لأنهما يقيمان فى منزل واحد ، وفى أحد الليالى اضطجعت إحداهما على ولدها فمات ، وعندئذ تسللت إلى مضجع جارتها النائمة وأخذت الرضيع من جانبها ووضعت بدلا منه إبنها الميت . وادعت أمومتها له ، ومن ثم بدأت كل واحدة تدعى أمومتها للولد الحى . وأراد سليمان أن يتوصل إلى الحقيقة فقال إيتونى بسيف ، فجاءوه بسيف فقال الملك اشطروا الولد الحى اثنين ، واعطوا نصفاً للواحدة ونصفاً للأخرى . وعندما سمعت هذا الحكم أم الولد الأصلية صرخت وقالت أعطوها الولد الحى ولا تميتوه . وأما المدعية فقالت لا يكون لى ولا يكون لها اشطروه. فأجاب الملك أعطوها الولد الحى ولا تميتوه فإنها أمه[1] .

ولم يكن الملوك وحدهم قادرين على النظر فى جميع ما يعرض عليهم من دعاوى لذلك كانوا يقيمون القضاة لكى يحكموا فيها ، وكانوا يوصونهم بتقوى الرب فى كل دعوى تأتيهم ويحذرونهم بألا يأتموا فى أية شريعة أو وصية[2] .

مما تقدم نلاحظ أن عصرى القضاة والملوك يعدان بداية للتنظيم

(١) ملوك الأول ٣:١٦ — ٢٨
(٢) أخبار الأيام الثانى ١٩ : ٦ — ١١

القضائى الذى أصبح فيما بعد له تشريعاته وقوانينه الخاصة به ، والتى أصبحت متكاملة مع مرور الزمن .

وسوف نتحدث فى الصفحات التالية عن هذه التشريعات، وأول ما سنتعرض له هو نظام الخطبة والزواج .

الفصل الأول

(١) الخطبة والزواج

لم تعرف الخطبة لدى اليهود ، فالارتباط بين العروسين كان فى أغلب الأحيان يحدث فجأة ، فاسحق مثلا رأى زوجته لأول مرة بعد أن وقع اختيار والده عليها ، وحضرت لتقيم معه[١] .

وكان على الرجل أن يختار زوجته من داخل العشيرة ، ويظهر أن الباعث على ذلك هو المحافظة على أموال الأسرة وعدم الإتصال بالأجانب فاسحق أوصى ابنه يعقوب بألا يتزوج من بنات كنعان بل يرحل إلى بنات خاله لابان[٢] .

والمرأة أيضاً كان يفضل عدم زواجها من أجنبى، فإن دينة ابنة يعقوب حينما تقدم لخطبتها رجل أجنبى رفض أخوتها إتمام الزواج[٣] .

---

(١) تكوين ٢٤ : ٦٠ ــ ٦٧ .
(٢) تكوين ٢٨ : ١ ــ ٢ .
(٣) تكوين ٣٤ : ٢٧ .

أما نظام المهر فقد كان معمولا به وكان يؤدى بعدة طرق يتفق عليها الطرفان ، فكان على الخاطب أحياناً أن يعطى كمية من الدراهم أو العقار أو الأنعام لأبى العروس . وقد يشترط والد العروس على أن يؤدى العريس له خدمة مانظير المهر ، فمثلاوجدنا أن شاؤل اشترط لزواج ابنته من داود أن يقتل داود مائتين من الفلسطينيين[١] .

كما وجدنا أن لابان اشترط على يعقوب أن يخدمه سبع سنوات نظير زواجه من ابنته الصغرى راحيل ، وعندما انتهت السنوات السبع أقام لابان وليمه بسبب زواجه من ابنته غير أنه عندما ثمل يعقوب ، أدخل له لابان ابنته الكبرى ليئة بدلا من راحيل لأنها كانت أقل جمالا من أختها. غير أن يعقوب غضب بعدما اكتشف الحيلة،فوعده لابان باعطائه راحيل إذا هو خدمه سبع سنوات أخرى ، فقبل يعقوب وتزوج راحيل بعد انقضاء المدة المحددة بينهما[٢] .

أما الزواج فيمكننا تعريفه فى الشريعة اليهودية بصفة عامة على أنه ارتباط بين الرجل والمرأة ، والغرض منه تكوين أسرة ، ولقد حثت الشريعة على الزواج والتناسل فجاء فى سفر التكوين: فأثمروا

---

(١) صموئيل الأول ١٨: ٢٥
(٢) تكوين ٢٩: ١٥ — ٣٩

أنتم وأكثروا وتوالدوا فى الأرض[١] .

وكان الزواج يتم بصورة مبسطة فيقيم والد العروس وليمة يحضرها أهل المكان ، ثم يأخذ ابنته ويأتى بها إلى زوجها[٢] وأحياناً يأتى الزوج ويأخذ زوجته ويصحبها إلى داخل الخيمة[٣] . وعلى الرجل إذا اتخذ امرأة جديدة أن يقيم معها عاما ويسر امرأته فقد جاء فى سفر التثنية: إذا اتخذ رجل امرأة جديدة فلا يخرج فى الجند ولا يحمل عليه أمر ما، حراً يكون فى بيته سنة واحدة ويسر امرأته التى أخذها[٤] .

ويصف العهد القديم الزوجة الفاضلة ، فيصورها بأنها لا تنقطع عن العمل فى بيتها ولا تفكر إلا فى زوجها وفى اطفالها ، فقد جاء فى سفر الأمثال : «امرأة فاضلة من يجدها ، لأن ثمنها يفوق اللآلىء ، بها يثق قلب زوجها فلا يحتاج إلى غنيمة ، تصنع له خيراً لا شراً كل ايام حياتها تطلب صوفاً وكتاناً وتشتغل بيدين راضيتين . هى كسفن التاجر تجلب طعامها من بعيد ، وتقوم إذ الليل بعد وتعطى أكلا لأهل بيتها ، وفريضة لفتياتها ، تتأمل حقلا فتأخذه وبثمر يديها تغرس كرما . تنطق حقويها بالقوة وتشدد ذراعيها . تشعر أن تجارتها جيدة . سراجها

(١) تكوين ٩ : ٧
(٢) تكوين ٢٩ : ٢١ - ٢٣
(٣) تكوين ٢٤:٦٧
(٤) تثنية ٢٤:٥

لا ينطفىء فى الليل ، تمد يديها إلى المغزل وتمسك كفاها بالفلكة ، تبسط كفيها للفقير وتمد يديها إلى المسكين . لاتخشى على بيتها من الثلج لأن كل أهل بيتها لابسون حللا . تعمل لنفسها موشيات ، لبسها بوص وأرجوان . زوجها معروف فى الأبواب حين يجلس بين مشايخ الأرض. تصنع قمصاناً وتبيعها وتعرض مناطق على الكنعانى. العز والبهاء لباسها وتضحك على الزمن الآتى ، تفتح فمها بالحكمة وفى لسانها سنة المعروف . تراقب طرق أهل بيتها ولاتأكل خبز الكسل، يقوم أولادها ويطوبونها ، زوجها أيضاً يمدحها ، بنات كثيرات عملن فضلا ، أما أنت ففقت عليهن جميعا. الحسن غش والجمال باطل ، أما المرأة المتقية الرب فهى تمدح ، أعطوها من ثمر يديها ولتمدحها أعمالها فى الأبواب»[١] .

(ب) تعدد الزوجات

تجيز الشريعة اليهودية تعدد الزوجات ، فقد مارس بنو إسرائيل تعدد الزوجات فكان لعيسو عدة زوجات[٢] وجمع يعقوب بين الأختين[٣] وكانت زوجات داود الشرعيات كثيرات عدا الجوارى والسرارى[٤] .

(١) الأمثال ٣١ : ١٠ ـ ٣١

(٢) تكوين ٢٨ : ٩

(٣) تكوين ٢٩ : ٢١ ـ ٣٠

(٤) صموئيل الأول ١٨ : ٢٧ ، صموئيل الثانى ٣ : ٢ ـ ٥ : ١١ : ٢١

وكان لرحبعام ثمانى عشرة امرأة وستون سرية ولدن له ثمانية وعشرين ابنا وستين ابنة[١] .

وقد كان لتعدد الزوجات صلة بالرغبة فى الإنجاب، وكان للأبناء أهمية كبرى لأنهم كانوا يعاونون رب الأسرة فى رعى الغنم، ويحملون لقب الأسرة . وفى مواضع متعددة من العهد القديم نتبين أن الحرص على التناسل يعتبر أهم هدف بالنسبة للزواج حتى أننا وجدنا أن ابنتى لوط سقتا والدهما خمراً حتى يكون لهما نسل منه فقد قيل فى سفر التكوين إن البنت البكر قالت للصغيرة أبونا قد شاخ ، وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض . هلم نسقى أبانا خمراً ونضطجع معه فنحيى من أبينا نسلا . فسقتا أباهما خمراً فى تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها . ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة إنى قد اضطجعت البارحة مع أبى ، نسقيه خمراً الليلة أيضاً فادخلى اضطجعى معه . فنحيى من أبينا نسلا . فسقتا أباهما خمراً فى تلك الليلة أيضاً وقامت الصغيرة واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها . فحبلت ابنتا لوط من أبيهما فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب وهو أبو الموآبين إلى اليوم والصغيرة

(١) أخبار الأيام الثانى ١١ : ٢١

ولدت ابنا ودعت إسمه بن عمى وهو أبو بنى عمون إلى اليوم[1] .

وعلى ذلك فالإنجاب كان له أهمية كبيرة فى بنى إسرائيل حتى أن للمرأة العاقر كانت تعطى جاريتها لزوجها لتحمل منه وتلد فى حجر سيدتها ، وعندئذ يفترض أن المولود من نسل الزوجة وليس الجارية. فراحيل دفعت جاريتها إلى زوجها يعقوب فقد ذكر سفر التكوين أن راحيل عندما رأت أنها لم تلد قالت ليعقوب هب لى بنين وإلا فأنا أموت . فغضب يعقوب على راحيل وقال ألعلى مكان الله الذى منع عنك ثمرة البطن . فقالت هى ذا جاريتى بلهة إدخل عليها فتلد على ركبتى وأرزق أنا أيضاً منها بنين . فاعطته بلهة جاريتها زوجة . فدخل عليها يعقوب فحبلت بلهة وولدت ابنا . فقالت راحيل قد قضى لى الله وسمع أيضاً لصوتى وأعطانى إبنا[2] .

وربما كان أيضاً الزواج من امرأة الأخ المتوفى دليلا على التعبير عن الرغبة فى الانجاب وإحياء اسم الشخص المتوفى ، وهذا الزواج كان ضروريا بالنسبة للأرملة المتوفى عنها زوجها دون أن ينسل منها وعندئذ كان عليها أن تتزوج من أقرب شخص بالنسبة للمتوفى وإذا

(١) تكوين ١٩ :٣١ ـ ٣٦
(٢) تكوين ٣٠ :١

أنجبت منه فالنسل يحمل اسم المتوفى . وكان الأخ الأكبر هو الملزم بهذا الزواج ، فاذا رفض عرض الأمر على الأخ الثانى والثالث وهكذا وإذا رفضوا جميعاً تجرى « الحاليصاه » أى خلع النعل وهو أن يحضر الأخ أمام الموجودين وتقول الأرملة لقد رفض أخو زوجى أن يبقى على اسم أخيه فى إسرائيل ، وأبى أن يتزوجنى ويصر على رفضه، ثم تقترب المرأة منه أمام الحاضرين وتخلع نعله من قدمه وتبصق فى وجهه وتصرخ وتقول هكذا يفعل بالرجل الذى لا يبنى بيت أخيه فيدعى اسمه فى إسرائيل بيت مخلوع النعل[١] .

أما إذا قبل الرجل الزواج من الأرملة فيطرح ثوبه عليها لإثباته حقه فى ذلك . فقد ذكر أن راعوث طلبت من بوعز أن يبسط عليها ثوبه إثباتاً لاستحواذه عليها وموافقته على الزواج منها[٢] .

---

(١) وعلى ذلك فيمكن الرجل أن يتخلص من هـذا الزواج باعطاء أرملة أخيه الحاليصاه وهى أشبه بالطلاق ، حتى يتمكن من إنهاء هذه العلاقة ، غير أن أرملة المتوفى لا يمكنها التخلص من هذا الزواج إذا رغبت عنه فى حالة قبول الشقيق الزواج مما يعدم الرضا من جانب الزوجة (راجع تثنية ٢٥ : ٥ ـ ١٠) هذا وقد جاء فى سفر اللاويين الذى يعتبر لاحقا لسفر التثنية نسخ لإجراء الحاليصاه وإرصاد أرملة الأخ حيث قيل « إذا أخذ رجل امرأة أخيه فذلك نجاسة لاويون ٢٠ : ٢١

(٢) راعوث ٣ : ٩ .

(ح) المحرمات فى الزواج :

التحريم فى الزواج يدل بصفة عامة على أن هناك واقعة معينة تقوم عقبة فى سبيل القيام بالزواج .

ويظهر أن الشريعة اليهودية لم تلجأ فى بداية الأمر إلى التوسع فى قواعد التحريم ، فنجد أن الإسرائيليين لم يلتزموا بنظام المحارم من جهة الأب فيعقوب تزوج أختين ليئة وراحيل ، واقترن عمورام بعمته يوكابد[١] وتزوج ناحور من ابنة أخيه هاران[٢] ودعت تامار حماها يهوذا فدخل عليها[٣] .

ويبدو أن الأساس فى عدم التحريم هو المحافظة على الثروة ، داخل العشيرة وحصرها ما أمكن فى إطار محدود. غير أنه بمرور الزمن وعندما زالت أهمية الثروة بالنسبة للزواج كثرت المحارم .

وقد أشار العهد القديم إلى القرابة المانعة من الزواج وهى[٤] :

الأم . البنت . بنت الإبن . بنت البنت . زوجة الأب . بنت

---

(١) خروج ٦ : ٢٠
(٢) تكوين ١١ : ٣٩
(٣) تكوين ٣٨ : ١٣ — ١٨
(٤) لاويون ١٨ : ٦ — ١٨ ، تثنية ٢٧ : ٢٠ — ٢٣

الزوجة . بنت بنتها . بنت ابنها . الحماه . الأخت . العمة . الخالة . زوجة الإبن . زوجة الأخ . زوجـــة العم . المرأة وبنتها . أخت الزوجة[١] .

وقد حرمت الشريعة اليهودية أيضاً زواج الـكاهن من مطلقة أو زانية حتى لايدنس نسله[٢]

كما أشارت فى مواضع متعددة من العهد القديم الى تحريم الزواج بين اليهود وغيرهم من الشعوب الأخرى ، ويبدو أن السبب فى ذلك أنهم يعتبرون أنفسهم عنصراً مميزاً ، وشعباً مختاراً ، لذلك حرم الزواج بين هذا العنصر وسائر العناصر الأخرى الأقل منه منزلة . وكانت فترة التحريم تطول أو تقصر حسب مقدار سخطهم على هذه الشعوب فكلما ازداد الغضب عليهم ازدادت فترة التحريم ، لذلك حدد بعشرة أجيال بالنسبة للعمونيين والموآبيين وثلاثة أجيال بالنسبة

---

(١) يجوز الزواج بأخت الزوجة متى توفيت الزوجة ، فتحريم الجمع بين الأختين فى التوراة يستند الى رفع الحرج بينهما إبان حياتهما ، فإذا ماتوفيت الزوجة زال السبب .

(٢) معنى ذلك أنه يجوز لأى شخص أن يتزوج منها . وإباحة الزواج بين الزانى والزانية الغرض منه إزالة العار الذى قد يلحق بهما (أنظر سفر اللاويين ٢١ : ١ — ١٠ ، ٢٢ : ١٢ — ١٣).

للمصريين[٣] .

كانت الشريعة أيضاً على تحريم الزواج بين اليهود و بين الشعوب الوثنية ، غير أننا وجدنا كثيراً من الشخصيات اليهودية لم تلتزم بهذا الوضع ، وبذلك لم ينجح التشريع فى فرض قوانينه على المجتمع الإسرائيلى .

---

(٣) تثنية ٢٣ : ٣ ـ ٨

الفصل الثاني

(١) الطلاق

لم تكن رابطة الزواج عند بني إسرائيل في مرحلة الرعي ذات أهمية بل كان يمكن فصمها في أي وقت من الأوقات ، ويرجع ذلك إلى وضع المرأة حيث كانت تعتبر مثل سائر الممتلكات من الممكن أن تتناقل حيازتها ، فكان الأب يستطيع أن يسترد إبنته من زوجها دون استشارته ويزوجها لرجل آخر .

فوجدنا مثلا أن زوجة شمشون زوجها أبوها من شخص آخر وعرض عليه أختها الصغيرة لكي يتزوجها[١] .

وكذلك وجدنا أن ميكال امرأة داود زوجها والدها من شخص يدعى فلطيئيل بن لايش ، وعندما اعتلى داود العرش طلب امرأته وأخذها من عند زوجها ، وكان زوجها يسير إلى جوارها ويبكي ، حتى قيل له إرجع فرجع[٢] .

---

(١) قضاه ١٥ : ١ — ٢ .
(٢) صموئيل الثاني ٣ : ١٤ — ١٦ .

وعندما زال حق الأب فى إنهاء زواج ابنته ، وإنتظمت العلاقة الأسرية ، أجازت الشريعة اليهودية انحلال الرابطة الزوجية بما يعرف بالطلاق ، حيث يكون ذلك بإرادة الزوج وحده ، واشترط تحرير كتاب الطلاق[١] .

هذا ويعد الموت السبب الرئيسى فى انحلال هذه الرابطة ، فبالموت تتوقف الرابطة الزوجية وعندئذ يحل للزوج أو الزوجة أن يتزوج أى منهما مرة أخرى .

وعلى الرغم من أن الطلاق فى يد الرجل فى الشريعة اليهودية غير أنه يلزم أن يكون هناك مسوغ له ، كأن تكون المرأة غير لائقة ، أو بها عيب ما[٢]

وهناك جملة أحكام تتعلق بالطلاق أقرتها الشريعة اليهودية نذكر منها :

(١) إذا اتخذ رجل امرأة وأبغضها ، وحين دخل عليها أشاع أنها ليست بكراً ، يأخذ أبو الفتاة وأمها علامة عذرتها ويخرجان إلى شيوخ

---

(١) تثنية ٢٤ : ١ .

(٢) تثنية ٢٤ : ١ .

المدينة ، ويقول أبو الفتاة للشيوخ ، أعطيت هذا الرجل ابنتي زوجة ، فأبغضها وها هو قد قال لم أجد لبنتك عذرة ، وهذه علامة عذرة ابنتي ، ويبسطان الثوب أمام شيوخ المدينة . فيأخذ شيوخ تلك المدينة الرجل ويؤدبونه ويغرمونه مائة من الفضة ، ويعطونها لأبي الفتاة لأنه أشاع اسماً رديئاً عن عذراء من إسرائيل ، فتكون له زوجة لا يقدر أن يطلقها كل أيامه[١] .

(٢) إذا وجد رجل فتاة عذراء ودنسها ، فإنه يعطي أباها خمسين من الفضة ، وتكون له زوجة لا يقدر أن يطلقها[٢] .

(٣) إذا اقترنت المرأة المطلقة برجل آخر ثم توفي هذا الزوج الثاني أو طلقت منه ، لا يحق لزوجها الأول إعادتها إليه[٣] .

(ب) النفقة والإلتزامات الواجبة :

لم تنظم الشريعة اليهودية أحكام النفقة بالتفصيل ، بل جاءت

---

(١) تثنية ٢٢ : ١٣ ـ ١٩

(٢) تثنية ٢٢ : ٢٨ — ٢٩

(٣) ارميا ٣ : ١ ..... يبدو أن الشريعة اليهودية قد منعت رد المطلقة الى زوجها بعد اقترانها بآخر لحمله على التريث قبل وقوع الطلاق ، وكذلك لتدفعه الى سرعة الرجوع اليها بعقد جديد والاستعجال عليه الأمر إن عقد عليها غيره أو خطبها .

إشاراتها إلى النفقة إشارات موجزة وتستنبط من النصوص إجمالا . فقد ورد مثلا فى التوراة : « أكرم أباك وأمك[١] » وهذا يعنى أن للأب حقوقاً على الأولاد من بينها النفقة عند الحاجة إليها .

ويستفاد أيضاً مما ورد فى التوراة أن نفقة الأولاد واجبة شرعاً أو إلزامية[٢] .

ويجب أيضاً إنفاق الأب على ابنته إذا ترملت أوطلقت ولاذرية لها ، وفى هذه الحالة تعود إلى بيت أبيها لتأكل من خبزه[٣] ، وهذا يعنى أنها تعيش فى كنف أبيها ويلزم بالإنفاق عليها وإعالتها كما كان ملزما بذلك قبل زواجها .

كما تجب النفقة أيضاً فى حالة الارصاد الشرعى[٤] وعندئذ يجب على المرصد الشرعى وهو أخو الزوج أو أى شخص يقوم مقامه إعالة الزوجة والانفاق عليها حتى يتم الإرتباط النهائى .

أما الأحكام الخاصة بالنفقة وكيفية أدائها ، وتقديرها . وإنقضائها

---

(١) خروج ٢٠ : ٢١
(٢) تـكوين ٣٧ : ٣ تثنية ١٢ : ١٢
(٣) تـكوين ٣٨ : ١١ ، لاويون ٢٢ : ١٣
(٤) امرأة الأخ مرصدة شرعا لسلفها مالم يتنصل منها .

وسقوطها ، فلم يرد ذكرها فى العهد القديم ، وإن كانت قد نظمت فيما بعد :

هذا وقد عرضت نصوص العهد القديم لبعض الالتزامات الواجبة على الأب إزاء إبنته ، والزوج حيال زوجته ، نتبين منها أنه على الأب أو الزوج أن يفى بما التزمت به المرأة . فقد جاء فى سفر العدد أنه إذا نذرت امرأة نذرا للرب والتزمت بلازم فى بيت أبيها وسمع أبوها نذرها ، واللازم الذى ألزمت نفسها به ، فإن سكت أبوها ثبتت كل نذورها وكل لوازمها التى ألزمت نفسها بها . وإن نهاها أبوها يوم سمعه فكل نذورها ولوازمها التى ألزمت نفسها بها لاتثبت، وكذلك الحال بالنسبة للزوج فيجب الوفاء بنذر زوجته إذا سكت . أما نذر الأرملة أو المطلقة فكل ما ألزمت نفسها به يثبت عليها[١] .

وقد حثت الأحكام التشريعية أيضاً على العطف على الغريب واليتيم والأرملة فى أكثر من موضع فى العهد القديم[٢] .

وهذا يعنى أن هناك بعض الواجبات والالتزامات التى يجب العمل بها .

---

(١) عدد ٣٠ : ٢ ــ ١٢ .

(٢) تثنية ٢٤ : ١٩ ــ ٢٢ لاويون ١٩ : ٩ ــ ١٠

(ج) الميراث :

من العادات التى كانت شائعة عند بنى إسرائيل أن الذكر مفضل دائماً على البنت ، لذلك كانت حقوق الولد فى الميراث أكثر من حقوق البنت ، فالبنات لا يرثن إذا ترك الوالد أولادا ذكوراً . ويوزع ميراث الأب على الأبناء ، ويعطى الإبن البكر ضعف نصيب الابن الآخر [(١)] .

وإذا كان لرجل امرأتان ، إحداهما محبوبة والأخرى مكروهة ، فولدتا له بنين ، فان كان الابن البكر للمكروهة فيوم يقسم لبنيه ما كان له ، لا يحل له أن يقدم ابن المحبوبة بكراً على ابن المكروهة البكر . بل يعطى ابن المكروهة نصيب اثنين من كل ما يوجد عنده ، لأنه هو أول قدرته له حق البكورية [(٢)] .

غير أنه فى حالة عدم وجود ذكور ، ترث البنت ، فهناك تشريع بانتقال ارث الآباء الى البنات ، ان لم يكن لهم بنون ، فقد ذكر الاصحاح السابع والثلاثون من سفر العدد أنه اذا توفى الرجل ، ولم يكن له ابن ينقل ملكه الى إبنته . وان لم تكن له ابنة يعطى ملكه

---

(١) تثنية ٢١ : ١٧ .

(٢) تثنية ٢١ : ١٥ — ١٧ .

لاخوته وان لم يكن له أخوة يعطى ملكه لاخوة أبيه . وإن لم يكن لأبيه أخوة تعطوا لنسيبه الأقرب اليه من عشيرته فيرثه[١] .

وكان العرف أن أرملة المتوفى لا ترث ، غير أنه على الوارث الشرعى أن يتكفل بأرملة الفقيد بأن يتزوجها، أو تعود الى بيت والدها لكى تتاح لها الفرصة فى الزواج مرة ثانية[٢] .

أما وراثة الزوج للمرأة فكانت واجبة شرعاً ، لذلك كان يفضل أن تتزوج البنات من سبطهن حتى لا ينتقل الميراث من سبط الى آخر فقد جاء :

« كل بنت ورثت نصيباً من أسباط بنى اسرائيل تكون امرأة لواحد من عشيرة سبط أبيها، لكى يرث بنو اسرائيل كل واحد نصيب آبائه ، فلا يتحول نصيب من سبط الى سبط آخر ، بل يلازم أسباط بنى اسرائيل كل واحد نصيبه »[٣] .

ويظهر أن الغرض من ذلك هو بقاء الملكية فى عشيرة الأب ، وعدم نقلها الى عشيرة أخرى بالزواج . وعلى ذلك فالدافع الأساسى هو حفظ الميراث ، واستمرار الملكية فى عشيرة معينة .

(١) عدد ٢٧ : ٨ — ١١ .
(٢) تكوين ٣٨ : ٦ — ١١ .
(٣) عدد ٣٦ : ٧ — ٩ .

الفصل الثالث

الملكية

كانت الملكية الخاصة لدى القبائل السامية محدودة ، فلم يكن البدوى يعرف من الممتلكات الخاصة إلا أسلحته التى يهجم بها ويدافع عن نفسه بها . وهى الأسلحة الخفيفة مثل الرمح والترس والقوس والسيف[1] . أما الخيمة التى ينام تحتها فكانت ملكاً للأسرة بأجمعها ، وكانت المراعى أيضاً ملكاً للقبيلة بأسرها . وكانت القبيلة تمتلك الأرض ثم تقسمها على الأسر حسب تعدادها فالقبائل الكثيرة العدد تكون حيازتها أكثر من القبائل القليلة العدد[2] .

ثم تطور الحال بمرور الزمن ، وعرفت الملكية الفردية ، ويقص علينا العهد القديم أسماء كثير من الأشخاص كانت لهم ممتلكات خاصة ، نذكر منهم يعقوب الذى منحه فرعون ملكا فى منطقة

---

(١) صموئيل الاول ١٧ : ٤٥

(٢) عدد ٢٦ : ٥٣ — ٥٦

جاسان[١] . ونابال الرجل الثرى الذى يمتلك ثلاثة آلاف من الغنم ، وألف من المعز[٢] .

وحزقيا الذى عمل لنفسه خزائن للفضة والذهب والأحجار الكريمة ، والأطياب والأتراس وكل آنية ثمينة . ومخازن لغلة الحنطة والمسار والزيت وأوارى لكل أنواع البهائم والقطعان ، وعمل لنفسه أبراجاً ومواشى وغنما وبقراً بكثرة[٣] .

وأيوب الذى كانت مواشيه سبعة آلاف من الغنم وثلاثة آلاف جمل وخمسمائة فدان بقر وخمسمائة أتان وخدمة كثيرين جداً[٤] .

وبذلك تعددت أنواع الملكية ويمكننا حصرها فى ملكية الأراضى ، ملكية الأنعام ، ملكية النقود والمنقولات ، ملكية الرقيق ، ولكل نوع من هذه الأنواع نظمه الخاصة به .

(ا) ملكية الأراضى :

لقد تحولت ملكية الأراضى من ملكية جماعية توزع على القبائل

---

(١) تكوين ٤٧ : ٥ — ٦ .
(٢) صموئيل الأول ٢٥ : ٢ .
(٣) اخبار الايام الثانى ٣٢ : ٢٧ — ٢٩ .
(٤) ايوب ١ : ٣ .

إلى ملكية فردية يستطيع الفرد فيها أن يكون له حرية التصرف فيما يمتلكه . وكانت هناك قيود خاصة وضعت لحماية الملاك ، ولاراحة الأرض ، وللرحمة بالأجير ، فالأرض كان يفضل عدم بيعها إلى الغريب ، وبذلك تكون أحقيتها لأقرب شخص للمالك . فمثلا وجدنا أن نعمى عندما أرادت أن تبيع أرضها عرضتها أولا على وليها لأنه أحق شخص فى إقتنائها[1] ، وقد وضح سفر اللاويين هذا المبدأ حيث جاء فيه : « والأرض لاتباع بتة لأن لى الأرض ، وأنتم غرباء ونزلاء عندى بل فى كل أرض ملككم تجعلون فكاكا للأرض.

إذا افتقر شخص ما ، وباع من ملكه ، يأتى وليه الأقرب إليه ويفك مبيع أخيه ، وإذا لم يكن له ولى فإن نالت يده وجد مقدار فكاكه يحسب سنى بيعه، ويرد الفاضل للإنسان الذى باع له ، فيرجع إلى ملكه ، وإن لم تنل يده كفاية ليرد له يكون مبيعه فى يد شاريه إلى سنة اليوبيل ثم يخرج فى اليوبيل فيرجع إلى ملكه »[2] .

---

(١) راعوث ٣:٤ — ٥ .

(٢) لاويون ٢٣:٢٥ — ٢٨ .

ونصت التوراة أيضاً على اتباع نظـــام الدورات فى الأرض لإراحتها ، فقد جاء :

« ست سنين تزرع أرضك وتجمع غلتها ، وأما فى السابعة فتريحها وتتركها ليأكل فقراء شعبك »(١) .

كما حثت التوراة على العطف على الأجير ، وأن يدفع له المالك أجره قبل إنتهاء اليوم ، وأوجبت الراحة يوماً كل أسبوع(١) .

(ب) ملـكية الأنعام :

كان للمواشى أهميتها القصوى لدى العبريين ، فالعبريون كجميع البدو كانوا يعيشون على منتجات ماشيتهم وعلى خيراتها . ولهذا كانوا حريصين على إمتلاك أكبر عدد ممكن من المراعى . وكانت الماشية إذ ذاك تعتبر أجراً مادياً ، فكانت تدفع كجزية ، أو تقدم مهرا للعروس ، وفى أغلب الأحيان ترسل بصفة هدايا ، فقـــد جاء أن الفلسطينيين أتوا يهو شافاط بهدايا وفضة ، والعربان أتوه بغنم من الـكباش سبعة آلاف وسبعمائة . ومن التيوس سبعـــة آلاف

---

(١) خروج ٢٣ :١٠، لاويون ٢٥ :٤ .
(٢) لاويون ١٩ :١٣ ، خروج ٢٠ :١٠ .

وسبعمائه[١] .

وقد امتلك الاسرائيليون الكثير من الأغنام نتيجة لكثرة الحروب والاغارات، التى كانوا يشنونها على الشعوب المجاورة لهم. ويقص علينا سفر العدد أن بنى إسرائيل سبوا نساء مديان وأطفالهم ، ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم ، وكل أملاكهم ، وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار ، وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم[٢] .

ويحدثنا سفر أخبار الأيام أنه فى عهد الملك آسا ذبحوا للرب من الغنيمة التى جلبوها سبعمائة من البقر وسبعة آلاف من الضأن[٣] وهذا يدل على أن مقدار ما غنموه من المواشى ليس بالشىء اليسير .

(ج) ملكية النقود والمنقولات :

كان الاسرائيليون يحتفظون بكميات كبيرة من الذهب ، ويستعملونها فى أغراض شتى منها الزينة وتجميل الملابس ، وتزيين هيكل الرب .

---

(١) اخبار الايام الثانى ١٧ : ١١ .
(٢) عدد ٣١ — ٩/٣١ — ١١ .
(٣) اخبار الايام الثانى ١٥ : ١١ .

وكانت أوانى شرب الملك سليمان جميعها من الذهب ، كما كانت السفن تأتى إليـــه محملة بالذهب والفضـة والعاج والقرود والطواويس[٢] .

وعرف اليهود ملكية النقود منذ أزمان سحيقة ، وتفننوا فى كنز الأموال والذهب واستخدموا أساليبهم الخاصة فى ابتزازها ، فقد كان وزن أقراط الذهب التى غنموها فى موقعة ما ألف وسبعمائة شاقل ، ماعدا الأهلة والحلق وأثواب الأرجوان والقلائد التى فى أعناق الجمال[١] .

وكان الرب ينصحهم دائماً بأن يستولوا على كل ما يجدونه من مال وذهب وفضة وأمتعة وغير ذلك .

وقد لعبت التجارة دوراً كبيراً فى إنماء ثروتهم ، فقد استطاعوا عن طريق دهائهم وغشهم وتغريرهم أن يجمعوا أموالا جمة .

وكذلك الربا ، فقد كان عاملا هاماً فى إزدياد أموالهم ، حيث كان مباحا للاسرائيلى أن يتعامل مع غير الاسرائيلى بأشنع أنواع

---

(١) اخبار الايام الثانى ٩ : ٣٠ — ٢١ .

(٢) قضاة ٨ : ٢٦

الربا [1].

(د) ملكية الرقيق :

أما ملكية الإماء فقد مارسها بنو إسرائيل بصورة واسعة ، وكانت الأمة تعتبر ملكا لسيدها ، له حرية التصرف فيها ، فقد يتزوجها ، وأحياناً يعتقها أو يهديها لغيره . أما إذا كانت الأمة ملكا للزوجة ، فالزوج لا يستطيع أن يدنو منها إلا بموافقة زوجته . وكان هناك فرق بين الرقيق الاسرائيلي وغير الاسرائيلي ، فالأول كان من الممكن عتقه ، وعندئذ يستطيع أن يترك بيت سيده هو وأبناؤه ، أما الثاني فليس له هذا الحق ، بل عليه أن يخدم سيده ، ويظل عبداً له مدى الحياة هو ونسله من بعده فقد جاء في سفر اللاويين :

«عبيدك وإماؤك الذين يكونون لك فمن الشعوب الذين حولكم فمنهم تقتنون عبيداً وإماء ، وأيضاً من أبناء المستوطنين النازلين عندكم ، منهم تقتنون ، ومن عشائرهم الذين عندكم والذين يلدونهم في أرضكم فيكونون ملكا لكم ، وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك . فتستعبدونهم إلى الدهر ، وأما أخوتكم بنو إسرائيل

---

(١) تثنية ٢٣ : ١٩ ـ ٢٠

فلا يتسلط إنسان على أخيه بعنف»[1] .

وعلى ذلك فقد أجازت التوراة استرقاق الاسرائيلي لأخيه الاسرائيلي على أن يعامله سيده برفق ، كما أقرت بعض الأحكام الخاصة بالعبيد إذ جاء :

« إذا اشتريت عبداً عبرانياً فست سنين يخدم وفى السابعة يخرج حراً مجاناً ، إن دخل وحده فوحده يخرج . إن كان بعل امرأة تخرج امرأته معه ، إن أعطاه سيده امرأة وولدت له بنين وبنات فالمرأة وأولادها يكونون لسيده وهو يخرج وحده . ولكن إن قال العبد أحب سيدى وامرأتى وأولادى لا أخرج حراً يقدمه سيده إلى الله ويقربه إلى الباب أو إلى القائمة ،ويثقب سيده أذنه بالمثقب فيخدمه إلى الأبد[2] ».

وفيما يتعلق بالأمة جاء :

إذا باع رجل ابنته أمة لا تخرج كما يخرج العبيد ، إن قبحت فى

---

(١) لاويون ٢٥: ٤٤ — ٤٦.
(٢) خروج ٢١ :١—٥ .

عينى سيدها الذى خطبها لنفسه يدعها تفك ، ليس له سلطان أن يبيعها لقوم أجانب لغدره بها ، وإن خطبها لإبنه فبحسب حق البنات يفعل لها ، إن اتخذ لنفسه أخرى لا ينقص طعامها وكسوتها ومعاشرتها وإن لم يفعل لها هذه الثلاث تخرج مجاناً بلا ثمن[١] .

(١) خروج ٢١ : ٧ — ١٠ .

الفصل الرابع

تشريعات أخرى

امتلأ العهد القديم بكثير من الشرائع والأحكام ، تناولت أنواعاً متعددة وصوراً مختلفة للنظم التى كانت سائدة عند اليهود .

ويرجع أساس التشريع إلى موسى ، الذى يعد أول من وضع لليهود القواعد التشريعية فى التوراة . فقد سبق أن أشرنا إلى أن موسى لم يكتب التوراة ، ولكنه دون أجزاء منها فقط . ومن أهم ما دونه بعض الوصايا ، أما فيما عدا ذلك من قوانين تشريعية وأحكام فهى من صنع الكهنة الذين كان لهم الحق فى وضعها . فلم يكن أحد غير هؤلاء يستطيع أن يقرب القرابين أو يفسر الطقوس أو الأسرار الدينية تفسيراً آمنا من الخطأ[1] .

وقبل أن نذكر شيئاً عن الشرائع ، نبـــدأ الحديث أولا عن الوصايا :

---

(١) قصة الحضارة الجزء الثانى المجلد الأول ص ٣٤٦ .

(١) الوصايا :

يحتوى العهد القديم على وصايا متعددة ، والوصايا عبارة عن أوامر ونواه ، فالأوامر ما فرضه الرب ويجب أن يعمل به ، وأول وصية وردت فى التوراة الأمر بالزواج[1] ، وقد تعددت الوصايا بعد ذلك .

ومن أهم الوصايا التى وردت فى العهد القديم الوصايا العشر ، وهى أساس اعتقاد اليهود بإله واحد عظيم ، قادر وكيفية عبادته ، ومايجب على عباده من الأعمال ، وما يجب عليهم طرحه والإبتعاد عنه ، وهذه هى الوصايا العشر كما ذكرت فى الإصحاح العشرين من سفر الخروج :

١— أنا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية .

٢— لا يكن لك آلهة أخرى أمامى ، لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت وما فى الماء من تحت الأرض لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأنى أنا الرب إلهك

---

(١) تكوين ١ : ٢٨ .

إله غيور أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء فى الجيل الثالث والرابع من مبغضى ، وأصنع إحساناً إلى ألوف من محبى وحافظى وصاياى .

٣— لاتنطق باسم الرب إلهك باطلا . لأن الرب لا يبرىء من نطق باسمه باطلا .

٤— اذكر يوم السبت لتقدسه ، ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك ، وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك ، لاتصنع عملا ما أنت وابنك وابنتك ، وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذى داخل أبوابك . لأن فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح فى اليوم السابع ، لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه .

٥— أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض التى يعطيك الرب إلهك .

٦— لاتقتل .

٧— لا تزن .

٨— لاتسرق .

٩— لا تشهد على قريبك شهادة زور .

١٠— لاتشته بيت قريبك . لاتشته امرأة قريبك ولا عبده ، ولا أمته ، ولا ثوره ، ولا حماره ولاشيئاً مما لقريبك[١] .

وقد تعددت الوصايا بعد ذلك فى العهد القديم ، فمنها ما يختص بالخبر الكاذب وشاهد الزور ، والأمانة فى المعاملة ، والنهى عن الرشوة وغير ذلك ؛ فقد جاء فى سفر الخروج :

« لا تقبل خبراً كاذباً ، ولا تضع يدك مع المنافق لتكون شاهد ظلم ، لاتتبع الكثيرين إلى فعل الشر . ولا تحرف فى دعوى ولا تحاب مع المسكين فى دعواه . إذا صادفت ثور عدوك أوحماره شارداً ترده إليه ، إذا رأيت حمار مبغضك واقعاً تحت حمله وعدلت عن حله فلابد أن تحل معه . لاتحرف حق فقيرك فى دعواه . ابتعد عن كلام الكذب ، ولا تقتل البرىء والبار . لأنى لا أبرر المذنب . ولاتأخذ رشوة لأن الرشوة تعمى المبصرين ، وتعوج كلام الأبرار ، ولا تضايق الغريب لأنكم عارفون نفس الغريب لأنكم كنتم غرباء فى أرض مصر[١] » .

وقد ذكرت كثير من الأنظمة والشرائع التى تتعلق بمكارم

(١) خروج ٢٠ : ٢ — ١٧ .
(٢) خروج ٢٣ : ١ — ٩ .

الأخلاق ، وتحفظ أمن المجتمع وسلامته ، وترشده الى الطريق الواجب اتباعه، لذلك وجدنا أن التشريع اليهودى قد عالج موضوعات متعددة وضح فيها ما يجب على المرء أن يفعله ، وما يجب عليه أن يتجنبه ، كما وضح بعض الفرائض والشرائع الدينية ؛ وذكر بعض الواجبات المفروضة فى مختلف النواحى .

وسوف نشير هنا الى بعض نماذج من موضوعات عالجها التشريع اليهودى .

(ب) موضوعات عالجها التشريع اليهودى

الحائض :

المرأة الحائض تظل سبعة أيام نجسة ، وكل من مسها يكون نجسا ، وكل ما تضطجع عليه فى طمثها يكون نجسا ، وكذلك كل ما تجلس عليه . وكل من مس فراشها يغسل ثيابه ويستحم بماء . وكذلك كل من مس متاعا تجلس عليه. وإذا صادف زوجها الحيض وقت قربه منها لزمه سبعة أيام ثم يتطهر ، أما اذا استمر دمها أكثر من سبعة أيام فتعتبر فى حكم الحائض أى نجسة ، وكل فراش تضطجع عليه يكون كفراش طمثها ؛ وكل الأمتعة التى تجلس عليها تكون نجسة ؛ وكل من مسهن يكون نجساً فيغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجسا الى المساء[1] .

النفساء :

اذا ولدت امرأة ذكراً تكون نجسة سبعة أيام من يوم الوضع . ثم تتربص ثلاثة وثلاثين يوما تعرف بأيام التطهير . وان ولدت انثى

(١) لاويون ١٥ : ١٩ — ٢٩ .

تـكون نجسة أسبوعين . وتظل ستة وستين يوما حتى تـكتمل أيام طهرها[١] .

وعلى ذلك فإنجاب الأنثى يلزم بامتداد فترة نجاستها ضعف إنجاب الذكر ، لأن المولود الذكر أشد صلابة ، وأسرع تطهراً من الأنثى كما يعتقدون .

النجاسة :

قضى بنجاسة كل من مس ميتاً ، يظل نجسا سبعة أيام ، يتطهر فى اليوم الثالث ، وفى اليوم السابع يكون طاهراً ، وإن لم يتطهر فى اليوم الثالث ففى اليوم السابع لا يكون طاهراً[٢] . إذا مات إنسان فى خيمة فكل من دخل الخيمة ، وكل من كان فيها يكون نجساً سبعة أيام . وكل إناء مفتوح ليس عليه سداد بعصابة فإنه نجس وكل من مس على وجه الصحراء قتيلا بالسيف أو ميتا أو عظم إنسان أو قبراً يكون نجسا سبعة أيام[٣] .

المأكولات النجسة أو المحرمة :

حرم العهد القديم أكل دم جسد ما ، لأن نفس كل جسد هى

(١) لاويون١٢ ١ : ٥
(٢) عدد ١٩ :١١ — ١٣ .
(٣) عدد ١٩ :١٤ — ١٩ .

دمه ، كما حرم أكل الميتة ، ولحم الفريسة الفطيس[١] .

وحرم أيضاً أكل الجمل والأرنب والوبر، والخنزير ، وكل ماليس له زعانف وحرشف لا يؤكل لأنه نجس . ومن الطيور المحرم أكلها النسر والأنوق والعقاب والحدأة وكل غراب على أجناسه . . . والنعامة والظليم والبوم والسكركى والبجع والقوق والهدهد والخفاش وكل دبيب نجس لا يؤكل[٢] .

المأكولات المحللة :

البهائم المحلل أكلها هى البقر والضأن والمعز والإبل والظبى واليحمور والوعل والرئم والثيتل والمهاة . وكل بهيمة من البهائم تشق ظلفاً وتقسمه ظلفين وتجتر . ويؤكل من كل مافى المياه كل ماله رعانف وحرشف ومن الطيور كل طير طاهر يؤكل[٣] .

المشروبات المحرمة :

نهى التشريع اليهودى عن شرب الخمر والمسكر فى بعض مواضع

(١) لاويون ١٧ :١١—١٥ خروج ٢٢ :٣١ .
(٢) تثنية ١٤ :٧ — ١٩ .
(٣) تثنية ٢٤ :٣ — ١١

. من العهد القديم ، لأنها من الأفعال البغيضة غير المستحبة ، ومن الصفات التي يجب أن يبتعد عنها الفرد ، فقد جاء في سفر التثنيه :

« إذا كان لرجل ابن معاند ومارد ولا يسمع لقول أبية ، يمسكه أبوه وأمه ويأتيأن به إلى شيوخ مدينته ويقولون ابننا هذا معاند ومارد لا يسمع لقولنا وهو مسرف وسكير فيرجمه جميع رجال مدينته بحجارة حتى يموت[١] » .

البكر من الغنم :

كل بكر من البقر والغنم يقدس للرب ، لا يسخر بكر البقر ، ولا يجز بكر الغنم ؛ بل يؤكل سنة بسنة في المكان الذي يختاره الرب ، ولكن إذا كان فيه عيب عرج أو عمى أو عيب ما ، لا يذبح للرب ، والدم لا يؤكل بل يسفك على الأرض[٢] .

طبخ الحيوان وذبحه :

نهى العهد القديم عن طبخ الحيوان بلبن أمه ، وكذلك عن ذبح البقرة وابنها معاً والشاة وابنها معاً في يوم واحد[٣] والغرض من وراء ذلك

---

(١) تثنية ٢١ : ١٨ — ٢١ وعلى الرغم من ذلك فقد وجدنا أن التوراة أباحت شرب الخمر (تثنية ١٤ : ٢٣) .

(٢) تثنية ١٥ : ١٩ — ٢٣

(٣) خروج ٢٣ : ١٩ ، لاويون ٢٢ : ٢٨

هو الشفقة الإلهية، لأن طبخ النتاح بدم أمه، وذبح البقرة وابنها أو الشاة وابنها فى يوم واحد فيه بعض القسوة .

كما نصت الشريعة على أنه متى ولد بقر أو غنم أو معزى يكون سبعة أيام تحت أمه ، ثم فى اليوم الثامن فصاعداً يرضى به قرباناً وقوداً للرب[١] .

الشفقة على الطيور :

جاء فى سفر التثنية أنه إذا عثر الإنسان على عش طائر فى الطريق فى شجرة ما أو على الأرض فيه فراخ أو بيض والأم حاضنة الفراخ أو البيض ، فلا يأخذ الأم مع الأولاد ، بل يطلق الأم ويأخذ لنفسه الأولاد[٢] .

البر والعدل :

حثت الشريعة فى مواضع متعددة على البر والعدل ، ففعل البر والعدل أفضل عند الرب من الذبيحة[٣] كما أن الشريعة قضت بألا

(١) لاويون ٢٢:٢٦ .
(٢) تثنية ٢٢:٦ — ٧ .
(٣) لايون ١٩:١٥ .

تمتهن العدالة لصالح المسكين فى الدعاوى القضائية[١] .

العطف على الغريب :

أوصى العهد القديم بالغريب ، فهى عن ظلمه وساواه باللاوى واليتيم والأرملة فى فريضة الزكاة وأشركه فىميراث الأرض كالوطنى بين الأسباط[٢]

الابراء :

نصت التوراة على أنه فى آخر كل سبع سنين يعمل إبراء.وحكم الإبراء هو أن يبرىء كل صاحب دين يــــده مما أقرض صاحبه . لا يطالب صاحبه ولا أخاه ، لأنه قد نودى بإبراء للرب ، أماالأجنبى فلا حق له فى الإبراء[٣] .

العطية :

إن أعطى رجل عطية فإرثها يـكون لأبنائه ، ملـكهم بالوراثة. فإنأعطى أحداً من عبيده عطية من ميراثه فتـكون له إلى سنةالعتق

(١) خروج ٢٣:٣ .
(٢) حزقيال ٤٧ : ٢٢ — ٢٣ ، تثنية ١٩:٢٤ — ٢٢ .
(٣) تثنية ١٥ : ١ — ٤ .

ثم ترجع إلى صاحبها ، ولكن ميراثه يكون لأولاده[١] .

حلف الدم :

مارس العبرانيون شعيرة الدم فى عقد الحلف وقطع العهود، وكان الحلف يعقد عادة على دم ، وهذا الدم يكون دم الذبائح التى تنحر فقد ورد فى سفر الخروج « فأخذ موسى نصف الدم ، ووضعه فى الطشوت ونصف الدم رشه على المذبح ، وأخذ موسى الدم ورش على الشعب ، وقال هو ذا دم العهد الذى قطعه الرب معكم[٢] .

الشهود :

لاتقبل شهادة الواحد بل شهادة إثنين على الأقل ، أما شاهد الزور فيجب أن توقع عليه عقوبة[٣] . وفى حالة عدم توفر الشهود يؤدى المدعى عليه القسم[٤] .

القسامة :

إذا وجد قتيل فى مكان ما ، ولم يهتد إلى معرفة القاتل ، فعندئذ تجرى القسامة ؛ فيخرج الشيوخ والقضاة إلى المدن التى حول القتيل ويقيسون المسافة بين الجثة والبلاد القريبة منها ، وعندما يصلون الى

(١) حزقيال ٤٦ : ١٦ — ١٧ .
(٢) خروج ٢٤ : ٦ — ٨ .
(٣) تثنية ١٩ : ١٥ — ١٩
(٤) خروج ٢٢ : ٨

أقرب مدينة من الجثة ، يحضرون عجلة لم تستخدم فى عمل ما ، ويذهبون بها الى واد كثير المياه ، ولا يوجد به زرع وينحرونها ، ويطلب اللاويون من شيوخ تلك المدينة أن يغسلوا أيديهم فوق العجلة التى نحرت ، ويقسموا بأن أيديهم لم تسفك دم القتيـــــل . وأعينهم لم تره وهو يقتل . وبذلك لا يتحمل بنو اسرائيل تبعة هذا الدم [١] .

الصوم :

أشار العهد القديم فى مواضع متعددة الى الصيام ، وكان الصوم يلجأ اليه عادة تقرباً لله لقضاء أمر من الأمور ، وعندئذ يمتنعون عن الطعام والشراب عدة أيام [٢] .

المسبيـة :

جاء فى سفر التثنية : اذا خرجت لمحاربة أعدائك ودفعهم الرب الهك الى يدك ، وسبيت منهم سبياً ، ورأيت فى السبى امراة جميلة الصورة والتصقت بها ، واتخذتها لك زوجة فحين تدخلها الى بيتك تحلق

(١) تثنية ٢١ :١— ٩ .
(٢) استير ٤ : ١٦ ــ ١٧ .

رأسها وتقلم اظافرها وتنزع ثياب سبيها عنها ، وتقعد فى بيتك تبكى أباها وأمها شهراً من الزمان ثم بعد ذلك تدخل عليها وتتزوج بها فتكون لك زوجة . وإن لم تسر بها فاطلقها لنفسها لا تبعها بيعاً بفضة ولا تسترقها من أجل أنك قد أذللتها[١] .

اختيار الملك :

لا يجوز أن يكون الملك رجلا أجنبياً ، ولا يكثر له من الخيل ، والنساء والفضة والذهب حتى لا يزيغ قلبه . وعندما يجلس على كرسى المملكة يكتب لنفسه الشريعة فى كتاب من عند الكهنة واللاويين ، ويقرأ منها كل أيام حياته ، لكى يحفظ كلمات الشريعة ويعمل بالفرائض[٢] .

الخروج إلى الأعداء :

جاء فى سفر التثنية : «إذا خرجت فى جيش على أعدائك فاحترز من كل شىء ردىء . إن كان فيك رجل غير طاهر من عارض الليل يخرج إلى خارج المحلة ، لا يدخل إلى داخل المحلة ، ونحو إقبال

(١) تثنية ٢١ : ١٠ — ١٤ .
(٢) تثنية ١٧ : ١٤ — ٢٠ .

المساء يغتسل بماء ، وعند غروب الشمس يدخل إلى داخل المحلة ، ويكون لك موضع خارج المحلة لتخرج إليه خارجاً . ويكون لك وتد مع عدتك لتحفر به عندما تجلس خارجاً ، وترجع وتغطى برازك لأن الرب إلهك سائر فى وسط محلتك، لكى ينقذك ويدفع أعداءك أمامك فلتكن محلتك مقدسة لئلا يرى فيك شيئاً قذراً ، فيرجع عنك[١] » .

الحصار :

فيما يختص بحصار المدن فقد جاء : «إذا حاصرت مدينة أياما كثيرة محاربا إياها كى تأخذها فلا تتلف شجرها بوضع فأس عليه ، إنك منه تأكل فلا تقطعه ؛ لأنه هل شجرة الحقل إنسان حتى يذهب قدامك فى الحصار . وأما الشجر الذى تعرف أنه ليس شجرا يؤكل منه فإياه تتلف وتقطع ، وتبنى حصنا على المدينة التى معك حتى تسقط[٢] » .

---

(١) تثنية ٢٣ : ٩ — ١٤ .
(٢) تثنية ٢٠ : ١٩ — ٢٠ .

السحر :

نهت الشريعة عن السحر والعرافة والعيافة والتطير والرقى وسؤال الجن والموتى[١] ولم يكن السحر من الوسائل التى تستخدم فى الخفاء للأضرار بأحد، بل كان من الطقوس الرسمية ، إذ كان الملوك يلجأون إليه أحيانا قبل القيام بحملاتهم الحربية ليس فقط لمعرفة نتيجتها ، بل وللمساعدة على نجاحها[٢] .

الجور فى الميزان :

حذر التشريع من الجور فى الكيل حتى لا يكون مكاييل مختلفة كبيرة وصغيرة ، وان يكون الميزان ميزان حق وموزنات حق فقد جاء فى سفر التثنية لا يكن لك فى كيسك أوزان مختلفة كبيرة وصغيرة، لا يكن لك فى بيتك مكاييل مختلفة كبيرة وصغيرة وزن صحيح ومكيال صحيح[٣] .

الغش والتغرير :

أشارت نصوص العهد القديم فى مواضع متعددة إلى النهى عن

(١) تثنية ١٨ : ١٠ .
(٢) ملوك الثانى ١٣ : ١٨ — ١٩ .
(٣) تثنية ٢٥:١٣ — ١٦ ، لاويون ١٩:٣٥ .

الغش والتغرير كما حضت على منع الرشوة[١] .

الربا :

لايجوز للاسرائيلى أن يتعامل بالربا مع أخيه الإسرائيلى ولاأن يأخذ منه رهناً بدينه ، وإذا أخذ منه فى الصباح رهناً من المتاع الذى لا يستغنى عنه فى حياته اليومية ، كالرحى التى يطحن عليها قوته ، وجب أن يرده إليه فى المساء ، أما غير الإسرائيلى فمباح للاسرائيلى أن يتعامل معه بالربا[٢] .

الرهن :

جاء فى سفر التثنية إذا أقرضت صاحبك قرضاً ، فلا تدخل بيته لـكى ترتهن رهناً منه ، فى الخارج تقف والرجل الذى تقرضه يخرج إليك الرهن إلى الخارج . وإن كان رجلا فقيراً فلا تنم فى رهنه . رد إليه الرهن عند غروب الشمس لـكى ينام فى ثوبه ويباركك[٢] .

* * *

(١) تثنية١٦:١٩ .
(٢) تثنية ١٩:٢٣ — ٢٠ ، ٢٤ : ٦
(٣) تثنية ١٠:٢٤ — ١٣ .

وبالإضافة إلى ما تقدم فقد حاول التشريع اليهودى تنظيم جملة أمور وتشريعات متنوعة تتصل بالذبائح وغيرها من الطقوس الدينية ، والنظم الاجتماعية ، وقد ذكرت بصورة مفصلة فى سفر اللاويين نجتزىء منها ما يلى :

شريعة ذبيحة الاثم :

وهى واجبة على كل من علم أو شاهد شيئاً ولم يخبر عنه متعمداً ، وكل من مس شيئاً نجساً ، أو حلف كذباً . وعندئذ يقدم ذبيحة كفارة عن خطيئته وتكون أنثى من الأغنام ، نعجة أو عنزاً من المعز ، وإن لم يستطع أن يقدم شاة فيأتى بيمامتين أوفرخى حمام تكون إحداهما ذبيحة خطية والأخرى محرقة . وإن لم تنل يده يمامتين أو فرخى حمام يأتى بقربانه عشر الأيفة من دقيق قربان خطية[1] .

شريعة ذبيحة السلامة :

الذى يقدمها للشكر ، يقدم معها أقراص فطير ملتوته بزيت ورقاق فطيرمدهونة بزيت ودقيق . معأقراص خبز خمير . والكاهن الذى يرش دم ذبيحة السلامة ولحم ذبيحة الشكر يؤكل يوم قربانه

(١) لاويون ٥/١ — ١٣ .

ولا يبقى منه شيئاً إلى الصباح . وإن كانت ذبيحة القربان من أجل نذر أو نافلة فيجب أكلها يوم الذبيحة . وفى الغد يؤكل الباقى منها ، أما الباقى من لحم الذبيحة فى اليوم الثالث فيحرق بالنار ، وإن أكل من لحم ذبيحة سلامته فى اليوم الثالث لا تقبل[١] .

شريعة الأبرص:

شريعة الأبرص يوم طهره يؤتى به إلى الكاهن ، فاذا وجد الكاهن أن ضربة البرص قد برئت ، يأخذ للمتطهر عصفورين حيين طاهرين . ويذبح أحد العصفورين فى إناء ، أما العصفور الحى فيأخذه الكاهن ويغمسه فى دم العصفور المذبوح وينضح على المتطهر من البرص سبع مرات فيطهره ، ثم يطلق العصفور الحى على وجه الصحراء . ويغسل المتطهر ثيابه ويحلق كل شعره ويستحم بماء فيطهر ، ثم يقيم خارج خيمته سبعة أيام ، وفى اليوم السابع يحلق كل شعر رأسه ولحيته وحواجب عينيه وجميع شعره . ويغسل ثيابه ، ويرحض جسده بماء فيطهر ، ثم فى اليوم الثامن يأخذ خروفين صحيحين ونعجة واحدة حولية صحيحة وثلاثة أعشار دقيق ملتوتة بزيت ... ويعمل الكاهن

---

(١) لاويون ٧/١١ — ١٨ .

ذبيحة الخطية ويكفر عن المتطهر نجاسته[١] .

شرائع تختص بالسرقة والضرر :

إذا سرق إنسان ثوراً أو شاة فذبحه أو باعة يعوض المسروق منه الثور بخمسة ثيران والشاة بأربعة من الغنم ، إن وجد السارق وهو ينقب فضرب ومات فليس له دم ، ولكن إن أشرقت عليه الشمس فله دم ، وإن وجدت السرقة فى يده حية ثوراً كانت أم حماراً أم شاة يعوض المسروق منه باثنين .

إذا رعى إنسان حقلا أو كرما وسرح مواشيه فرعت فى حقل غيره ، فمن أجود حقله وأجود كرمه يعوض ، إذا خرجت نار وأصابت شوكا فاحترقت أكداس أو زرع أو حقل ، فالذى أوقد الوقيد يعوض ، إن أعطى إنسان صاحبه فضة أو أمتعة للحفظ فسرقت من بيت الإنسان فان وجد السارق يعوض باثنين ، وإن لم يوجد السارق يقدم صاحب البيت إلى الله ليحكم هل لم يمد يده إلى ملك صاحبه[٢] .

(١) لاويون ١٤/١ — ٢٠ .
(٢) خروج ١/٢٢ .

إذا وجد رجل قد سرق نفساً من اخوته بنى إسرائيل واسترقه وباعه يموت ذلك السارق[١] .

شرائع تختص بالقصاص والجزاء :

ذكر فى العهد القديم الكثير من الشرائع التى تختص بالقصاص، وتخلص منها أن القصاص يكون بمثل الذنب ، وهذا يعنى أن العين بالعين والسن بالسن واليد باليد . فمن ضرب إنساناً فمات يقتل قتلا ، ومن ضرب أباه أو أمه يقتل قتلا، ومن سرق إنساناً وباعه أو وجد فى يده يقتل قتلا،ومن شتم أباه أو أمه يقتل قتلا . وإذا تخاصم رجلان فضرب أحدهما الآخر بحجر أو بلكمة ولم يقتل بل سقط فى الفراش، فإن قام وتمشى خارجاً على عكازه يكون الضارب بريئاً إلا انه يعوض عطلته وينفق على شفائه

وإذا ضرب إنسان عبده أو أمته بالعصا فمات تحت يده ينتقم منه . لكن إن بقى يوما أو يومين لا ينتقم منه لأنه ماله.

وإذا تخاصم رجال وصدموا امراة حبلى فسقط ولدها ولم تحصل أذية يغرم المتسبب. . وإن حصلت أذية تعطى نفساً بنفس وعيناً

(١) تثنية ٤ : ٧٢ .

بعين وسنا بسن ويدا بيد ورجلا برجل . وكيا بكى وجرحا بجرح ورضا برض . وإذا ضرب إنسان عين عبده او عين امته فاتلفها يطلقه حراً عوضا عن عينه. وإن أسقط سن عبده أو سن أمته يطلقه حرا عوضا عن سنه[١] .

إذا أحدث إنسان فى قريبه عيبا فكما فعل ، كذلك يفعل به ؛ كسر بكسر وعين بعين ، وسن بسن ، كما أحدث عيبا فى الإنسان كذلك يحدث فيه[٢] .

شرائع تقتضى القصاص من الزانى :

جاء فى نصوص العهد القديم بعض الشرائع التى تقتضى القصاص من الزانى وفرض العقوبات عليه . فقد نصت الشريعة اليهودية على النهى عن الزنا لأنه رذيلة يجب الابتعاد عنها[٣] . كما نصت على عقوبة الزانى بالقتل حيث جاء :

« إذا زنى رجل مع امرأة ، فإذا زنى مع امرأة قريبة فإنه يقتل الزانى والزانية ، وإذا اضطجع رجل مع إمرأة أبيه فقد كشف

---

(١) خروج ٢١:١٢—٢٧ .
(٢) لاويون ٢٤:١٩ — ٢٠ .
(٣) لاويون ١٩:٢٩ .

عورة أبيه . إنهما يقتلان كلاهما . دمهما عليهما .

وإذا اضطجع رجل مع كنته فإنهما يقتلان كلاهما . قد فعلا فاحشة . دمهما عليهما . وإذا اضطجع رجل مع ذكر اضطجاع امرأة فقد فعلا كلاهما رجسا انهما يقتلان ، دمهما عليهما[١] .

وإذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل فوجدها رجل فى المدينة واضطجع معها فأخرجوهما كليهما إلى باب تلك المدينة وأرجموها بالحجارة حتى يموتا ، الفتاة من أجل أنها لم تصرخ فى المدينة ، والرجل من أجل أنه أذل امرأة صاحبه فتنزع الشر من وسطك. ولكن إن وجد الرجل الفتاة المخطوبة فى الحقل وأمسكها الرجل واضطجع معها يموت الرجل الذى اضطجع معها وحده ، وأما الفتاة فلا تفعل بها شيئا . ليس على الفتاة خطية للموت بل كما يقوم رجل على صاحبه ويقتله قتلا، هكذا هذا الأمر انه فى الحقل وجدها فصرخت الفتاة المخطوبة فلم يكن من يخلصها[٢] .

إذا اشتبه الرجل فى زنا زوجته ، وادعت هى براءتها ، توضع المرأة تحت الاختبار بتعذيبها بالماء المر . فيأتى الكاهن ويأخذ ماء

(١) لاويون ٢٠: ١٠ — ١٣
(٢) تثنية ٢٢: ٢٠ — ٢٧.

مقدسا من إناء خزف ، ويأخذ من الغبار الذى فى أرض المسكن ، ويضعه فى الماء ويستحلف الكاهن المرأة ويقول لها إن كان لم يضطجع معك رجل ، وان كنت لم تزيغى إلى نجاسة من تحت رجلك فكونى بريئة من ماء اللعنة المر . ولكن إن كنت قد زغت من تحت رجلك وتنجست، وجعل معك رجل غير رجلك مضجعه، يجعلك الرب لعنة بأن يجعل فخذك ساقطة وبطنك وارما . ثم يسقى الكاهن المرأة ماء اللعنة المر ومتى شربت الماء فإن كانت قد تنجست وخانت رجلها يدخل فيها ماء اللعنة فيرم بطنها وتسقط فخذها فتصير المرأة لعنة وسط شعبها . وإن لم تتورم تعتبر بريئة[1] .

شرائع تقتضى القصاص من الحيوان :

لم يقتصر القصاص فى التشريع اليهودى على الإنسان فحسب ، بل تعداه إلى الحيوان أيضا ، فكانوا يعتبرونه مسئولا أمام القانون ، لذا فهو يعاقب كما يعاقب الإنسان .

ويرجع ذلك إلى أن البدوى لطول ممارسته عيشة الصحراء صار يستأنس بوحوشها وبهائمها حتى خيل إليه أن وحوش الصحراء

(١) عدد ٥ : ١٢ — ٢٨ .

أقرب إليه من جميع الـكائنات الأخرى حتى من الإنسان نفسه .

لذلك حمل التشريع اليهودى الحيوان المسئولية ، فيعاقب على الزنا كالإنسان تماما فقد جاء فى سفر اللاويين :

«إذا جعل رجل مضجعه مع بهيمة فإنه يقتل والبهيمة تميتونها ، وإذا اقتربت امرأة إلى بهيمة لنزائها تميت المرأة والبهيمة إنهما يقتلان دمهما عليهما[1] » .

إذا نطح ثور رجلا أو امراة فمات يرجم الثور ولا يؤكل لحمه . وأما صاحب الثور فيـكون بريئا. ولـكن إن كان الثور نطاحا من قبل وقد أشهد على صاحبه ولم يضبطه ، فقتل رجلا أو امراة فالثور يرجم وصاحبه ايضاً يقتل . إن وضعت عليه فدية يدفع فداء نفسه كل مايوضع عليه . وإذا نطح ابناً أو نطح ابنة فبحسب هـــذا الحـكم يفعل به .

إن نطح الثور عبداً أو أمه يعطى سيده ثلاثين شاقلا من الفضة والثور يرجم[2] .

---

(١) لاويون ٢٠:١٥ — ١٦ .
(٢) خروج ٢١ : ٢٨ — ٣٢ .

(ج) تنفيذ العقــــوبات

لم يكن تنفيذ العقوبات فى بداية الأمر منظماً تنظيماً سليماً ، فكان الأخذ بالثأر هو الطريقة التى تؤدى بها العقوبات . وكان الانتقـام لاتحده حدود[1] وقد ظل أثر هذا الانتقام واضحاً بعد ذلك، فعندما انتهكت حرمة رجل لاوى ، واذلت حتى ماتت ، أمسكها بعلهـا وقطعها مع عظاما إلى اثنتى عشرة قطعـة وأرسلها إلى جميع تخوم إسرائيل ، مطالباً بالأخـذ بثأرها ، فخرج بنو إسرائيل واجتمعت الجماعة كلها لمحاربة بنى بنيامين الذين اذلوا المرأة . وقتل بنو إسرائيل من بنى بنيـامين فى ذلك الوقت خمسة وعشرين الف رجـل ومائة رجل من حاملى السلاح ثم ضربوا المدينة بأسرها بحـد السيف وأحرقوها [2] .

ثم ورد للثأر قوانين وحدود ، ونص التشريع اليهودى على الأحكام والعقوبات التى يجب تنفيذها فى المذنب، وتختلف هذه العقوبات حسب جسامة أو ضآلة الذنب . فـكان المذنب يعدم بعدة طرق .

---

(١) تـكوين ٤ : ٢٣ — ٢٤ .

(٢) قضاة ١٩ : ٢٥ ، ٢٠ : ٣٥

١ — الرجم: وهو عقوبة الزانى أو الزانية؛ وكذلك الذى يجدف على اسم الرب ويسبه . وعندئذ يؤخذ المذنب إلى مكان بعيد ويرجم بالحجارة[١] .

٢ ــ الحرق : تنفذ عقوبة الحرق بالنار عادة مع الزانى أو الزانية ؛ ويكون ذلك أمام جماعة بنى اسرائيل[٢] .

٣ ــ الشنق: ينفذ إذا ارتكب الجانى معصية تستحق الموت ،فيعلق المحكوم عليه بالإعدام على خشبة ، وتدفن جثته فى نفس اليوم ، لأن المعلق ملعون من الله[٣] .

٤ ــ الصلب :وهو عقاب المجرم إذا تآمر أوخان بلاده، ويتم عادة فوق الجبال[٤] .

٥ ــ قطع الرأس : ويلجأ إليه عادة فى الحروب ، فقد كان قطع رأس العدو من أسباب الفخر[٥] . وكانت الرءوس وأكف المقتولين دليلا على الاحتفلال بالنصر[٦] .

---

(١) لاويون ٢٤ : ١٤ ، ٢٣ .
(٢) لاويون ٢٠ : ١٤ ، ٢١ : ٩
(٣) تثنية ٢١:٢٢ — ٢٣
(٤) صموئيل الثانى ٢١:٩
(٥) قضا ٧٥:٢٥ ، صموئيل الأول ١٧:٥٤
(٦) قضاه ٨:٦

٦ ـ القتل بالسيف: يحل القتل بالسيف أو الطعن به عقابا على خيانة الوطن والغدر بالبلاد[١].

وهناك أحكام أخرى غير الإعدام ، وهى أحكام تأديبية مثل الجلد والسجن. فالجلد يستخدم فى حالة مـــا إذا كان المذنب مستوجباً الضرب . وحينئذ يطرح ويجلد على قدر ذنبه بالعدد . بحيث لا يزيد عدد الجلد عن أربعين[٢]. أما السجن فكان يحكم به على المذنب لاقترافه بعض الأثام أو اتقاء لشره[٣].

وكان التعذيب يعتبر نوعا من أنواع العقوبات لدى الاسرائيليين فمن طرق التعذيب تقطيع أباهم اليدين والرجلين[٤] . وترك المذنب مع الحيوانات الضارية لتقضى عليه[٥] . ولم يقتصر عقاب المذنب أو المجرم على الأحكام السالف ذكرها ؛ لأن الرب فى كثير من الأحيان هو الذى يصدر حكمه؛ فيعاقب الأفراد والشعوب العقاب الذى يستحقونه نظير ما اقترفوه من آثام ؛ فكان الرب يضربهم بالأوبئة أو بالأمراض

(١) قضاه ٣:١٦ ، ٩: ٥٤
(٢) تثنية ٢٥: ٢ـ٣.
(٣) أخبار الأيام الثانى ١٦: ٠ .
(٤) قضاه ١: ٦
(٥) دانيال ٦: ١٦ .

مثل البواسير والبرص والسيلان والجنون والعمى[1] وقد يسلط عليهم الـكلاب لتأكل لحومهم[2] والحيات المحرقة والزنابير لتلدغهم[3] أو يصيبهم بداء فى الأمعاء[4] أو يميتهم من الجوع[5] .

(١) تثنية ٢٨ : ٢٧ ، اخبار الأيام الثانى ٢٦ : ١٩ ، ملوك الثانى ٦ : ١٨

(٢) ملوك الثانى ٩ : ٣٦

(٣) عدد ٢١ : ٦ ، تثنية ٧ : ٢٠

(٤) أخبار الأيام الثانى ٢١ : ١٨

(٥) ارميا ١١ : ٢٢

خاتمـــة

من كل ما تقدم نلحظ أن أسفار العهد القديم قد كتبت فى أزمان متفاوتة وبأفكار متعددة ؛ وأنها كتبت على أيدى مجموعة من الكتاب كل له منهجه الخاص به ؛ وأن اليهود كتبوها انعكاسا لأفكارهم ومعتقداتهم ؛ لذلك أظهروا أنفسهم فيها بمظهر الشعب المختار المقرب ألى الله والمفضل على غيره من الشعوب ؛ وأن الرب هو ربهم وحدهم والديانة اليهودية ديانتهم وحدهم ، لذلك لم نلمح فى أسفارهم دعوةالشعوبالأخرى إلى الهداية أو إلى الدخول فى ملكوت الله .

وعلى الرغم من أنالديانة اليهودية تدعو إلىعبادةالرب الخالق ؛ فإن اليهود كانوا وثنيين قبل موسى ؛ وظلوا على وثنيتهم بعده حيث كانوا يعبدون آلهة الأمم الاخرى ؛ فلم يسيروا على طريق الدعوة الدينيه فى الإيمان بالواحد الخالق ، ولم يحفظوا وصايا الرب وشرائعه التى دعا إليها .

هذا وقدذكرت النظم التشريعية بصورةمفصلةفى العهدالقديم ،ونستخلص مما عرضناه أنالتشريع اليهودىعالج موضوعات متعددةتمس مختلف نواحى الحياة ، غير أننا لاحظنا أنه أغفل بعض الموضوعات الأخرى ،فلم يتعرض

مثلا لأحكام النفقة بعد الطلاق ، ولم يذكر شيئا عن العدة ، الرضاع الولاية على النفس (ضم الصغير) ، الوصية . ويلاحظ أيضاً أن كثيرا من هذه الشرائع قد وضعت قديما حينما كانت خيمة الاجتماع قائمة . لذلك أهمل بحكم الزمان ممارسة كثير من هذه الشرائع مثل تقديم القرابين والذبائح .

ويبدو أن التشريع قد سن بعض القوانين التى تتفق ومصلحة اليهود فحسب ، المصلحة القائمة على منفعتهم الشخصية بغض النظر عن الاضرار بمصالح الآخرين مثل موقفهم من اقراض المال ، كما ربط بين الديانة والعنصرية إذ اعتبر الإسرائيليين عنصرا مميزا مختارا من قبل الله ثم حرم التزاوج بينهم وبين سائر العناصر والشعوب . ولم يكن هذا التعصب إلا سمة من سمات الاستعلاء والكبرياء الفارغة .

وعلى الرغم مما تناوله التشريع اليهودى من موضوعات تحث على فعل الخير وعلى البر والتقوى والرحمة فان اليهود لم ينفذوا ما جاء بها ، فلم يسمعوا لانبيائهم ، ولم يلبوا دعوة ربهم بل كفروا به واشركوا بعبادته . وبذلك ظهر ما انطوت عليــــه نفوسهم الخبيثة من تمرد ومكر وخداع بصفة دائمة ، فاغفلوا المبادىء الخلقية التى ذكرت فى كتابهم المقدس .

فهرست

الباب الثانى

صفحة